محاضرات في مادة

تاريخ افريقيا جنوب الصحراء

دروس موجهة إلى طلبة السنة الثالثة تاريخ عام

السداسي الخامس

الأرصدة : 2

المعامل : 1

إعداد الدكتور

زناتي عامر

السنة الجامعية: 2023م/2024م

محتوى المادة:

1- تحديد الموقع و السكان (المجال الجغرافي والبشري لإفريقيا جنوب الصحراء و اقسامها السكان)

2- ممالك السودان الغربي(غانة، مالي، سنغاي)

3- ممالك السودان الاوسط(كانم بورنو، ممالك الهوسا)

4- ممالك السودان الشرقي(النوبة، الفونج، دارفور)

5- انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء.(دور التجار و الفقهاء، دور الهجرة، دور الطرق الصوفية، الحركات الإسلامية الحديثة).

المحاضرة الأولى

1- التحديد الجغرافي والسكاني لإفريقيا جنوب الصحراء:

1-1- المجال الجغرافي لإفريقيا جنوب الصحراء:

1-بلاد السودان:

أ- السودان الغربي.

ب- السودان الأوسط.

ت- السودان الشرقي.

2- بلاد السودان بين المصادر العربية والسودانية والأجنبية.

المحاضرة:

ظلت معرفة العالم الخارجي لقارة إفريقيا ضئيلة، حتى القرن التاسع عشر، حين بدأ يتساءل الكثيرون: هل لإفريقيا تاريخ؟.

فقد كان الأوربيون يعتقدون، أن إفريقيا لا تاريخ ولا ماض لها، وأن الزنوج شعب بلا تاريخ. لذا أطلقوا على القارة الإفريقية اسم القارة المظلمة أو السوداء. وقد قال الفيلسوف الإنجليزي ديفيد هيوم أن إنسان إفريقيا لا يملك شيئا من الصناعات والفنون، وأنكر الفيلسوف الألماني هيغل وجود حضارات في إفريقيا، وأنها ليست جزءا من العالم الحضاري.

وقد لخص د.كوامي نكروما هذا الحكم على إفريقيا حين قال:"...إن الأسطورة الأساسية لكل الأساطير التي أحاطت بإفريقيا؛ هي رفض الاعتراف بماضيها الخاص ويزعم الأوربيون أن إفريقيا ظلت خاضعة للركود في حين أن القارات الأخرى تصنع التاريخ. ويزعمون كذلك أن إفريقيا لم تدخل مسرح التاريخ إلا بفضل التدخل الأوربي وهكذا فإن تاريخها لا يعتبر في أغلب الأحيان إلا امتداد للتاريخ الأوربي..."[(1)].

1-بلاد السودان: ألحقت ببلاد السودان أسماء عديدة منها: بلاد السودان[(2)]، وأرض السودان[(3)]، وأرض السود[(4)]، وبلاد السودان مصطلح جغرافي يقصد به كل بلدان إفريقيا جنوب الصحراء من البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا[(5)].

(1) أحمد إبراهيم دياب، **لمحات من التاريخ الإفريقي**، المكتبة العربية السعودية، الرياض، ط1،1981م ص23.

(2) مُحَمَّد بن عمر التونسي، **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب و السودان**، تحقيق، خليل محمود عساكر و مصطفى مُحَمَّد مسعد، راجعه مصطفى مُحَمَّد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر،1965، ص5.

(3) الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة، عبد الرحمن حميدة، تعليق ايبولار، ت، مونو،هـ، لوت، و ر، موني، راجعه، علي عبد الواحد، ص40.

(4) Baraka,(Z-M), **Language in Education and policy** : **A Sudanese case study**, A thesis submitted for the degree of doctoral of philosophy in the department, University of London October.1984.p41.

(5) عبد الغفار مُحَمَّد أحمد، **في تاريخ الانتروبولوجيا والتنمية في السودان(مجموعة دراسات)**، ترجمة، مصطفى مجدي الجمال، مركز البحوث العربية و الإفريقية، د. ت، ص58.

وكان العرب[1] أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى، وسموا بلادهم- بلاد السودان-، أما أصل هذه التسمية لديهم فقد أرجعوها إلى لون البشرة عند سكان تلك المنطقة. وتنقسم بلاد السودان إلى ثلاثة أقسام، هي:

أ- السودان الغربي:

وهو يشتمل حوض السنغال الآن وغمبيا وبوركينافاسو- فلتا العليا سابقا- والنيجر الأوسط[2]، وهذه التسمية جاءت قبل الاحتلال الأوربي له، وفي عهد قديم أطلق عليه أسم بلاد التكرور، وكانت من أهم ممالكها كما نسرى لاحقا- مملكة التكرور، ومملكة غانا، ثم مملكة مالي، وبعدها مملكة سنغاي، ولكن وبعد أن لما استولى على أراضيها الاستعماريون قسموها إلى أقسام سياسية شتى وحددوها تحديدا رسميا على حساب أغراضهم الاستعمارية، وجعلوها دول وأطلق عليها تسميات، وهي: مالي- السّنغال – غامبيا – موريتانيا - غينيا بيساو – غينيا كوناكري– سيراليون – ليبريا – ساح العاج –غانا – بوركينافازو – توجو – بنين – النّيجر – نيجيريا التي هي أعظمها سكانا وأوسعها أرضا

(1) قد أطلق **البكري** كلمة السودان في القرن5هـ/11م على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الاطلسي غربا إلى مشارف النوبة على النيل شرق، واعتبر مدينة سجلماسة مدخلا إلى بلاد السودان.

- وذكر **القلقشندي في كتابة "صبح الاعشى في صناعة الانشا"** أن بلاد السودان يحدها البحر المحيط ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ومن الشرق بحرم القلزم مما يقابل بلاد اليمن ومن الشمال براري تمتد ما بين مصر وبرقة وبلاد عرب مغاربة من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط.

- أما **أبن حوقل** فقد حدد منطقة السودان بقوله:" وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فأن بلدهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف... غير أن له حدا ينتهي إلى البحر المحيط، وحدا له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب، وحدا له إلى برية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات.

- اما **أبن خلدون** فيقول:(السودان أصناف وشعوب وقبائل، أشرهم بالمشرق الزنج والنوبة، يليهم الزغاوة، ويليهم الكانم ويليهم من غربهم كوكو وبعدهم التكرور ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانية). أنظر: ابان حسين السنجري ، "**إمبراطورية غانا الإسلامية**"، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، العدد2، جوان،2012، ص268.

(2) عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، دراسات ونصوص المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989، ص11.

واكثرها ثقافة وتبلغ مساحتها ستة ملايين كيلومتر مربّع تقريبا[1].

ب– السودان الأوسط:

وهو يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد[2]، ويصل إلى حدود دارفور بالسودان، وفي إلى النيجر غربا، ويشتمل إلى الجنوب من إفريقيا الوسطى ومن نيجيريا[3].

ت– السودان الشرقي:

وهو يشمل مناطق النيل وروافده، جنوب بلاد النوبة. و هو يضم الآن الدول التالية: إثيوبيا– جيبوتي– إريتريا– كينيا– الصومال– السودان– تنزانيا– أوغندا.

ويرى الدكتور عبدالقادر زبادية في كتابه– **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء–** أن حدود هذا المفهوم الاصطلاحي لكلمة السودان من الناحية الجغرافية عند العرب أمكننا أن نعتبر حدوده الشمالية هي بدايات الصحراء الافريقية، ويحده جنوبا درجة10^0 شمالي خط الاستواء، أما الحدود الغربية والشرقية فهي المحيط الأطلسي من الغرب والمحيط الهندي من الشرق[4].

وبعد العرب جاء الأوربيون، فبقي بينهم تداول هذا الاصطلاح، ولكن الكلمة استعملت استعمالات جزئية؛ فالفرنسيون أطلقوها على ممتلكاتهم في غربي إفريقيا، واستعملها الإنجليز للدلالة على ما كان يعرف لديهم بـ"السودان المصري"، وهو يشمل حاليا كل جمهورية السودان وجزءا من أوغندا الشمالية[5].

2– بلاد السودان بين المصادر العربية والسودانية والأجنبية:

---

(1) داود عبد القادر إيليغا، **الأنظمة التّعليمية الوافدة إلى غرب أفريقيا وآثارها على المجتمع**، ملتقى الجامعات الأفريقية، جامعة أفريقيا العالمية بالسّودان، جانفي2006م، ص2.

(2) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص11.

(3) يحي جلال، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية،1999، ص40.

(4) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص11.

(5) نفسه، ص11.

إن أول احتكاك مباشر كان بين العرب الفاتحين وإفريقيا جنوب الصحراء في عهد سيدنا عمر بن الخطاب- رضي الله عن-، لما ألمح ابن عبد الحكم إلى حملة عبيد الله بن أبي عبيدة إلى أرض السودان والسوس سنة734م. وقدم الجغرافي والمؤرخ أو العباس أحمد بن يعقوب في مصنفه التاريخي" تاريخ اليعقوبي" إشارات طبغرافية وإثنوغرافية عن بلاد السودان، إلا أن إشاراته أخذت طابعا سياسيا واجتماعيا، وفي هذا الصدد، أشار لملل- مالي- سيأتي ذكرها فيما بعد. وتطرق ابن الصغير، الذي استوطن تيهرت في الربع الأخير من القرن3هـ/9م، والذي عاش بها فترة طويلة مكنته من استيعاب أخبار الدولة الرستمية، إلى العلاقات بين بلاد المغرب وبلاد السودان[1].

ومن الرحالة والجغرافيين والمؤرخين الذين زاروا بلاد السودان منهم الكاتب والجغرافي والمؤرخ **ابن حوقل** في القرن10م (أبو القاسم مُحَمَّد بن حوقل او مُحَمَّد بن علي النصيبي) من أشهر أعماله "صورة الأرض"[2]، الذي انتهى من تحريره وتأليفه سنة378م/988م، وقد زار أبن حوقل سجلماسة في سنة951م، ومنها دخل الصحراء وتوغل فيها إلى أن وصل مدينة أودغست-أودغشت- المجاورة للسودان، من ثمة، اكتسبت أقواله ومعلوماته عن بلاد السودان أصالة ومصداقية لأنه سجل مشاهداته وملاحظاته مباشرة بخلاف الاصطخري[3] (المتوفى في النصف الأول من القرن4هـ)الذي أشار إلى بلاد السودان عامة[4] في مصنفه"كتاب المسالك والممالك"، جاءت معلوماته عن إفريقيا جنوب الصحراء غامضة ومضطربة، وذلك لاكتفائهما بتسجيل الأصداء التي كانت تصل إليهم عن جوف إفريقيا، أو نقل الحكايات الأسطورية عنها، ولذلك اختلطت معلوماتهم بين الواقع بالخرافة. و وردت بعض

(1) أحمد شكري، **الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي1230-1430م**، الطبعة الأولى، المجمع الثقافي ابوظبي، 1999م، ص ص(19-23.).

(2) إبراهيم علي طرخان، **إمبراطورية غانة الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة،1970م، ص ص9.

(3) أحمد شكري، المرجع السابق، ص ص19-20.

(4) **المحاضرات العامة الموسم الثقافي1967-1968م**: عبدالرحمن زكي، **محاضرة" المراجع العربية للتاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا"** محاضرة القيت يوم20نزفمبر1967م، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، 1968م، ص13.

الاشارات في كتاب" فتوح مصر والمغرب" لمؤلفه ابن عبد الحكم "عبد الرحمن بن عبد الله المصري" المتوفي سنة871م[1].

والذي اشتهر في القرن القرن11م، ما كتبه البكري عن غانا بصفة خاصة هو من أدق وأحسن ما كتب عنها وعن أحوالها مع أنه لم يزر بلاد السودان بل دون كتابه" المسالك والممالك" في قرطبة حيث كانت وثائق وسجلات حكام الاندلس من بني أمية تحت تصرفه، وهذا فصلا عن الروايات والاخبار المتواترة المشهورة وهى التي أذاعها التجار والرحالة والمغامرون والحجاج[2].

وفي القرن14م برز الرحالة **أبوعبد الله بن بطوطة** (مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد اللواتي الطنجي)صاحب كتاب " تُحفة النُّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" الذي قام برحلة إلى السودان الغربي في عام1352م زار خلالها تنبكتو وشاهد ابن بطوطة نهر النيجر وظنه متصلا بنهر النيل[3]، ومنهم من سمع عنها وبحث واستقصى ودون مثل الرحالة الجغرافي الاشبيلي في كتابه "المسالك والممالك" **أبو عبيد البكري**(1030- 1094) م.

ومن أمهات المصادر العربية أيضا، التي تطرقت إلى تاريخ بلاد السودان، ما كتبه **الحسن بن مُحَمَّد الوزان**، المتوفى حوالي عام1552م، والمعروف باسم ليو الإفريقي، أمدنا الحسن الوزان بكثير من المعلومات المفيدة والتي دونها في كتاب رحلته الموسوم بـ" وصف إفريقيا"؛ ففي رحلته مر بجيني ومالي وتمبكتو، وجوبر وكانو وكتسينا، وبرنو... وغيرها، وقد وصفها وصفا جيدا وتحدث عن أحوال مجتمعاتها بإفاضة[4].

وما كتبه من أبناء بلاد السودان مثل **القاضي الفع محمود كعت**(1548–1593)م في القرن16م صاحب كتاب" تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس" الذي وحققه وترجمه المستشرقان هوداس ودي

(1) أحمد شكري، المرجع السابق، ص19.
(2) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص9.
(3) المحاضرات العامة الموسم الثقافي1967-1968م، المرجع السابق، ص15.
(4) نفسه، ص17.

لافوس، وطبع في باريس عام1913م كما أصدرا النسخة العربية في العام المذكور[1]. و مؤرخ إمبراطورية سنغاي **عبدالرحمن السعدي** "عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي"(1596-1655)م، في كتابه" تاريخ السودان "، و**أحمد بابا التمبكتي**، هؤلاء كتبوا تواريخهم باللغة العربية لغة الثقافة والدين والحكومة والتجارة إبان تلك الحقبة القومية من تاريخ هذه البلاد.

ولقد دلت المصادر العربية الاسلامية على أن البلاد الإسلامية ولاسيما في شمال إفريقيا كانت السوق الرائجة لسلع بلاد السودان، ومعنى هذا ارتباط بلاد السودان واتصالها بأرقي الحضارات الإنسانية المعاصرة، وكان هذا الارتباط هو صاحب الأثر الأكبر في تشكيل وتوجيه تاريخ بلاد السودان كما أن عناصر هذا الارتباط بعينه هي التي امدت كتاب المسلمين بالمعارف الأصلية عن تلك البلاد، وجعلتهم المصدر الأول للحديث والكتابة في تاريخ بلاد السودان[2].

في حين جهلت أوربا جهلا تاما في العصور الوسطى عن قلب إفريقيا بسبب وعورة الصحراء، وتحكم المسلمين في مسالكها ودروبها واحتكارهم لعمليات الاتصال ببلاد السودان لأسباب دينية وتجارية، علما بأن بلاد السودان لم تنقطع صلتها بالعالم الخارجي في أي فترة من فترات التاريخ، ولم تكن الصحراء حاجزا دون هذا الاتصال، و أوربا في محاولة اتصالها ومعرفتها عن بلاد السودان يرجع إلى التراث العربي الإسلامي، هذا التراث هو العمود الفقري لمعهد الخرائط * الذي قام بجزيرة ميورقة بإسبانيا في العصور الوسطى؛ فقد اعتمد علماءه على المعلومات

(1) نفسه، ص28.

(2) إبراهيم علي طرخان، ص ص9-10.

معهد الخرائط أو مدرسة الخرائط: أقامها المنج والفلكي ابراهام كرسك في بلاط أرغوان، وبرز فيها عدد من العلماء منهم: يافودا كرسك، وفيلادست، وجبرائي فالسكا، وسوليرى، و روسيل ، واوليفيا وغيرهم. ينظر: إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص11.

والأوصاف التي دونها كتاب العرب عن بلاد السودان، أمثال البيروني، وأبن سعيد والادريسي وغيرهم وذلك فيما أصدروه من خرائط عن العالم[1].

وهناك ما جمعه الأوربيون من الروايات والأساطير المحلية المشهورة خلال رحلاتهم وكشوفهم ثم طوال العهد الاستعماري على أن جزءا كبيرا من الروايات والمعارف التي جمعوها ودونها منقول أيضا عما عثروا عليه من كتب عربية سواء كتبها الاجانب عن هذه البلاد ام كتبها الوطنيون، ومن هذه الكتب الاجنبية نجد: مصنفات الفرنسي موريس دولافوسM.Delafosse والذي صدر كتابه في باريس عام1913م بعنوان:Traditiona Historiques et Légendaires du Soudan Occidental وهو ليس سوى ترجمة لمخطوطة عربية تتحدث عن تاريخ مملكة وجادو وتاريخ الصراع بين إمبراطورية الصوصو وإمبراطورية مالي.

كما أن الانجليزي سير رتشموند بالمرSir R.Palmer ترجم عشرات المخطوطات العربية في كتابين، أولهما تحت عنوان:Memoirs Sudanese، وصدر في لاجوس عام1928 في ثلاثة أجزاء، والكتاب الثاني الذي صدر في لندن في عام1936م بعنوان:

The Bornu Sahara and Sudan، والكشوف الاثرية الحديثة فقد ألقت الكثير من الضوء على التاريخ القومي لتلك الامبراطوريات ومما يؤكد أصالة المصادر العربية ودقة معلوماتها.

ومن جملة البحوث أيضا، والتي قام بها أبناء إفريقيا جنوب الصحراء في الفترة الحديثة كان ما كتبه الليبيري بيلادنBlyden عن الاسلام والمسيحية في إفريقيا السوداء، الذي قارن مقارنة علمية دقيقة بين انتشار الاسلام وانتشار المسيحية، وكتاب تحت عنوان:Christianity Islam and the Negro Race

(1) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص ص7-8.

وهناك كتابان أصدرهما المؤرخ الغيني جبريل نيانDjibril Nian تحت عنوان: Grands Empires Africains du Moyen- Age أولهما عن غانة Ghana ، والثاني عن إمبراطورية ماليMali وصدرا في كوناكري في عامي1960م-1961م على التوالي.

وكذلك أخرج الكاتب الأديب الشيخ آنتا ديوب Cheikh Anta Diop كتابا بعنوان إفريقيا السوداء قبل عهد الاستعمار L'Afrique Noire Pré-Coloniale والذي طبع في باريس في عام1952م[1].

المحاضرة الثانية

1- طبيعة المجتمعات في إفريقيا جنوب الصحراء.

1-1- شعوب السودان الغربي.

(1) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص ص11-12.

أ- المجموعة الأولى: المجموعة السنغالية.

ب- المجموعة الثانية: مجموعة الماندي: أوشعب مالانكي أوماندينغ.

1-2- شعوب السودان الأوسط.

1-3- شعوب السودان الشرقي: ومنها-

1- القبائل العربية:

2- السود.

3- النوبة.

4- البجة.

5- شبه السود.

المحاضرة:

1- طبيعة المجتمعات في إفريقيا جنوب الصحراء: إن ما يسترعي انتباه الدارس لطبيعة المجتمعات الافريقية هو تعددها وتعدد أجناسها، وهذا التعدد أدى إلى انعدام الوحدات السياسية الكبيرة التي يمكن ان تنظم حياة الناس؛

وقد كانت الوحيدة السياسية عي القبيلة؛ فالمجتمع الافريقي الخالص يقوم على الارتباط القبلي وكان القانون يقوم على القبيلة، وكل أفعال واعمال أفرادها موجهة نحو اسعاد القبيلة. ومن حيث تقسيم المجتمع الافريقي التقليدي فينقسم إلى قسمين: **رعاة** و **زراع**، **رعاة** وكان معظم هؤلاء يعيشون في شرق إفريقيا وحياتهم تعتمد على تربية الماشية خاصة الابقار، ورعوا الاغنام والضأن أيضا في الاماكن التي لا تصلح لتربية الابقار لطبيعتها الجغرافية ولوجود ذبابة- التسي تسي-،وهؤلاء الرعاة كانوا يسكنون في قرى صغيرة ولم تنشأ مدن كبيرة، وهذه القرى كثيرة التنقل في نفس الوقت جريا وراء العشب والماء، أما المجتمعات الزراعية فكانت تعيش في غربي القارة الافريقية عرفت استقرارا نشأت من خلاله مدن وممالك ودول. ولكن هذه المجتمعات سواء أكانت زراعية أو رعوية بدأت في التفتت وذلك نظرا لدخول مؤثرات خارجية على المجتمع الافريقي، ومن بين تلك المؤثرات الإسلام الذي كان نواة وحدة جمعت كل القبائل بدلا من التعصب القبلي[1].

1-1- شعوب السودان الغربي: ومنها:

أ- المجموعة الأولى: المجموعة السنغالية:

وتشتمل على شعوب الولوفOulouf المنتشر في حوض السنغال الادنى، وينتسب الى هذه المجموعة شعب سيريرSérére القاطن بالقرب من دكار وفي غامبيا العليا وغينيا، وأيضا شعب التكرور أو التكو لور في شمال حوض السنغال الاسفل، وينتشر هذا الشعب حاليا في منطقة فوتا السنغالية، وفي منطقة سيغوSegou، وفي بلاد النيجر الأعلى- في مالي-

ب- المجموعة الثانية: مجموعة الماندي: أوشعب مالانكي أوماندينغ:

تنتشر في منطقة السنغال الاعلى والنيجر الاعلى الى الساحل الاطلسي ما بين سانت لويس- تقع على الساحل الشمالي الغربي للسنغال، عند مصب نهر السنغال، ومونروفيا- في ليبيريا-.

(1) أحمد إبراهيم دياب، **لمحات من التاريخ الإفريقي**، الطبعة الأولى، دار المريخ، الرياض،1981م، ص ص(35-38).

وتنتشر هذه المجموعة حاليا في النيجر الأعلى وفي السنغال الاعلى وفي وادي نهر غامبيا، وفي المناطق الداخلية من جمهورية غينيا ومالي، وقد امتزج مع العناصر البربرية، وشعوب البول، وقبائل البامبرا المنتشرة في وادي النيجر الاعلى.

وشعب الماندي هم أرباب التجارة ما بين الساحل الاطلسي الغربي وما بين النيجر الاعلى وتجارتهم: الملح وجوزة الكولا، وقد أسس شعب ماندي مملكة مالي[1].

1-1- شعوب السودان الأوسط:

ونجد في السودان الأوسط المجموعة التشادية، وتتألف من شعوب عديدة كثيرة الاختلافات فيما بينها، أولها مجموعة توبو Toubou في منطقة بورنو. و شعب كانوري Knouris في بورنو وقد جاء هذا الشعب من منطقة كانم، وشعب باغيرمي Baguirmi على الضفة اليمنى لنهر شارى[2].

1-2- شعوب السودان الشرقي:

في السودان الشرقي شعوب وقبائل مختلفة تجمعهم خمسة أصول وهي: السود، وشبه السود، والبجة، والنوبة، والعرب، ماعدا الأجانب والمولدين[3].

1- القبائل العربية:

انتشرت القبائل العربية في السودان منذ زمن بعيد، وتوغلت جنوبا بعيدا، ولا ترجع هجرتها إلى السودان في القرن7م أي إلى وقت الفتح الإسلامي فحسب وإنما ترجع إلى أبعد من هذا فقد عرف العرب هذه المناطق قبل

(1) نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية** ، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974، ص ص(17-19.)

(2) نعيم قداح، المرجع السابق، ص ص19-20.

(3) نعوم شقير، **جغرافية و تاريخ السودان**، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت،1972، ص53.

الإسلام[1] وبعده إذ قصدت القبائل المهاجرة السودان عبر ثلاث طرق، وهي: من شمال جزيرة العرب ووسطها إلى بلاد الشام فسيناء فمصر فمع النيل جنوبا، والطريق الثاني من غرب جزيرة في الحجاز عبر البحر الأحمر .والأخير في عصور لاحقة عبر بلاد الشام فمصر فبلاد المغرب العربي نزولا إلى تشاد حتى غرب السودان الشرقي[2].

ويحصي المؤرخ نعوم شقير في كتابه جغرافية وتاريخ السودان 78قبيلة عربية[3]. ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي: **قبائل الجعلين**: ومن قبائلهم: الجوامعة – العدبات – البديرية – البطاحين و الميرفاب والمناصير، والشايقية، والجوايرة والركابية، والغديا[4].

وقبائل جهينة: وتنقسم هذه القبائل إلى قسمين كبيرين في غرب السودان هما: قبائل الكبابيش، وقبائل البقارة أي رعاة البقر.

ومن قبائلها ما يلي: قبائل الشكرية قبائل اللحويين قبائل رفاعة قبائل الزيادية والشنابلة، وقبائل دار حامد وبني جرار، والبزعة، والمعاليا وقبائل الدويجية والمسلمية، والحمر، والماهرية، والمحاميد[5].

وقبائل الكواهلة: ويسمى الكواهلة أحيانا باسم الحسانية والحسنات[6].

2– السود: وسكنوا جنوب السودان[1]، ويحصي المؤرخ نعوم شقير حوالي26قبيلة[2] وينقسمون إلى ثلاث مجموعات رئيسة، وهي:

---

(1) مُحَمَّد محمود الصياد ومُحَمَّد عبد الغني سعودي، **السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي**، دار الرائد للطباعة، القاهرة، 1966 ، ص158.

(2) أحمد الشيخ، قناة الجزيرة الفضائية، برنامج الشاهد، عنوان الحلقة، **"جدلية الهوية والجغرافية"**، ج1، بتاريخ:12-05-2011.

(3) نعوم شقير، المصدر السابق، ص ص62-64.

(4) ربيع مُحَمَّد القمر الحاج،" **الهجرات العربية إلى بلاد النوبة و السودان الشرقي وأثارها الثقافية والحضارية**"، مجلة قراءات، العدد الثاني، سبتمبر2005م، ص36.

(5) ربيع مُحَمَّد القمر الحاج، المرجع السابق، مجلة قراءات، ص37.

(6) حمدنا الله مصطفى حسن، **التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (1841– 1881)**، الطبعة الأولى، دار المعارف، 1985.، ص338.

2-1- مجموعة القبائل النيلية: ومن قبائلهم على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1- قبائل الدنكا: ومنهم: - دنكا البوريون ، و دنكا الجانجيه، ودنكا السجيحة و التويج والملوال[3] ، ومنها قبائل الرنك و الآدور، والبور[4].

2- قبائل النوير.

3- قبائل الشلك أوالشيلوك[5] .

4- قبائل الانواك.

ومن **القبائل النيلية** أيضا البورون، والبالاندا، والجور، والأشولي واللانجو،...الخ.

2-2- مجموعة القبائل النيلية الحامية: وهم قسمان:

أ- **القسم الشمالي:** وأهمهم **النوبا:** وأشهر هذه المجموعات: المورو، واتورو والتوليشي، والنيما، والتاباك.

ب- القسم الجنوبي: ومن قبائلهم: قبائل الزاندي أو الأزاندي، وقبائل البونغو، وقبائل ميتو ومن قبائل الأخيرة أيضا: قبائل المورلي والديدينغا، والمنداري وتويوسا[6]والباري واللاتوكا واللوجبارى، والتركانا، والمادي والبويا...وغيرهم.

---

(1) مُحَمَّد محمود الصياد و مُحَمَّد عبد الغني سعودي، المرجع السابق، ص165.

(2) نعوم شقير، المصدر السابق، ص ص(54-56).

(3) جيمس روبرتسون، **السودان من الحكم البريطاني المباشر إلى فجر الاستقلال**، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت، 1996، ص78

(4) أمل عجيل، **قصة وتاريخ الحضارات العربية(19-20) - تاريخه وجغرافيته وحصارته وأدبية(ليبيا-السودان - المغرب**،1999، ص66.

(5) محمود شاكر، المصدر السابق، ص76.

(6). Deng D. Akol Ruay ,**The Politics Of Two Sudans**, **The South and the North 1821 - 1969**, Motala Grafiska AB, Motala,Sweden,1994..p.15.

2-3- مجموعة القبائل السودانية: وتتكون من عدة قبائل صغيرة، وأهمها قبائل النيانجورا والفوجلو، والمورو، واللالويا[1].

3- النوبة: وينقسم النوبيون إلى خمس مجموعات رئيسة وهم: قبائل الدناقلة و قبائل المحس وقبائل السكوت وهي تشكل النوبة السودانية.

وأما المجموعتان الباقيتان فتشكلان **النوبة المصرية** وهى: قبائل الكنوز، وقبائل الفديجة[2].

4- البجة: ومنهم: قبائل البشاريون أو البشارون وينقسمون إلى قسمين هما: - بشاريو أم علي وبشارو أم ناجي.

ومن قبائل البجة أيضا: الأمرأر، والهدندوة، وقبائل بنو عامر، وتوجد جماعات أخرى من البجة ذات كيانات صغيرة وأهمها: الأشراف والارتيقا، والكميلات والحالنقا[3] ...وغيرهم.

5- شبه السود: ويحصي المؤرخ نعوم شقير منهم حوالي17قبيلة ومن أشهرها: قبائل الفور، وقبائل البرقِد، ومن قبائلها أيضا: الميمة، والمراريت، والداجو، والزغاوة والبُديات[4].

المحاضرة الثالثة

1- ممالك السودان الغربي.

(1) أحمد أبو سعدة، **جنوب السودان وأفاق المستقبل**، الجزء الأول، دمشق، 2006 ، ص11.
(2) حمدنا الله مصطفى حسن، المرجع السابق، ص327.
(3) نفسه، ص314.
(4) نعوم شقير، المصدر السابق، ص ص56-58.

1-1- إمبراطورية غانا.

1- أصل التسمية وأصول سكان إمبراطورية غانا.

2- نظام الحكم والإدارة المحلية في غانا.

3- النظام الاجتماعي في إمبراطورية غانا.

المحاضرة:

ممالك السودان الغربي:

شهدت منطقة السودان الغربي أو ما يسمى حاليا غرب القارة الإفريقية قيام عدة إمبراطوريات وممالك لعبت دورا حاسما على مسرح الحياة السياسية والاقتصادية في القارة الإفريقية، وكان لبعض هذه الإمبراطوريات أصول وثنية غير أنها بلغت الذروة والقوة في عهدها الإسلامي[1]، ومن تلك الإمبراطوريات التي ظهرت في السودان الغربي نجد: غانا والتكرور ومالي وسنغاي.

أما المساحات التي شغلتها هذه الإمبراطوريات، هي جميع الأقاليم الواقعة شمالي الغابات الاستوائية وجنوبي الصحراء الكبرى أي في منطقة السفانا، ولهذه الإمبراطوريات أصول وثنية غير أنها بلغت الذروة والقوة في عهدها الإسلامي، وقامت علاقات قوية ومتنوعة بين هذه الامبراطوريات وبين البلاد الإسلامية، وهي علاقات قديمة لكنها ازدادت بانتشار الإسلام في غربي إفريقيا، واستقر عدد كبير من العرب والبربر المسلمين بتلك الجهات واختلطوا بالوطنيين.

وكانت غانا قدم الامبراطوريات التي قامت في غرب إفريقيا، ثم تلتها مالي ومن بعدها صغاي. كما وجدت امبراطورية التكاررة في العصور الوسطى، وبعثت مرة أخرى في العصور الحديثة في القرن19م والتي كان لها دور كبير في كفاح الاستعمار الفرنسي، كما بعثت مالي أيضا في نفس القرن ممثلة في مملكة ساموري توري – جد أحمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا 1970م–، وهذه كلها قامت في ما يعرف بالسودان الغربي. وفي السودان الاوسط او التشادي قامت امبراطورية الهوسا تمثلت في عدد من دول الهوسا مثل كانو وكاتسنا وكبى وغيرها. وهناك إمبراطورية بورنو التي قامت أولا في كانم ثم في بورنو، وهذه ورثتها إمبراطوريه الفولانيين أو الفلانا في العصور الحديثة وزالت على يد الاستعمار الأوربي[2].

(1) ابان حسين السنجري ، "**إمبراطورية غانا الإسلامية**"، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، العدد2، جوان،2012، ص269.

(2) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص15.

وتجدر الاشارة إلى أن أخبار هذه الممالك غانا ومالي و سنغاي وبرنو وكانم ترجع لما كتبه المؤرخون والجغرافيون والرحالة العرب؛ كالجغرافي والمؤرخ **اليعقوبي(ت897م) صاحب كتاب" البلدان"** الذي تناول بالدراسة تاريخ ممالك السودان منها مملكة غانا، واشار **ابن حوقل في كتابه المسالك والممالك** صلات زعماء أودغست بملك غانا أغنى ممالك العالم لما في أرض بلاده من التبر. وهناك إشارات مفيدة عن عدة ممالك في غرب أفريقيا وشرقها في كتاب" **مروج الذهب ومعان الجوهر" لمؤلفه المسعودي**(ت957م) والذي يرجح أنه زار مدغشقر. والجغرافي الاندلسي البكري الذي قدم معلومات قيمة عن إفريقيا عامة حتى وأن لم تطأها قدمه، وعن مملكة غانا خاصة، وهي في أزهى أيامها. ثم **الادريسي**(1100-ح1164)م صاحب كتاب" **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**"، الذي وصف غانا وما كان عليه ملوكها من ثراء، كما وصف أحوال مالي وتكرور أكبر مدنها وأكثرها تجارة والتي كان يسافر إليها أهل المغرب الاقصى بالصوف والنحاس والخرز ويخرجون منها بالتبر والخدم. وهناك معلومات قيمة عن غانا وتكرور في مؤلفات كل من **ياقوت الحموي**، و **زكريا بن مُحَمَّد القزويني في كتاب معجم البلدان**، وآثار البلاد وأخبار العباد على التوالي. و ورد ذكر لبلاد التكرور في كتاب" **بسط الأرض في الطول والعرض لصاحبه علي بن مُحَمَّد المغربي**(ت1286م)، وفي كتاب **"تقويم البلدان" لأبو الفداء**(ت1331م). وقد ذكر أيضا **تقي الدين أحمد المقريزي** رحلة منسا موسى للحج وهي أول رحلة حج من ملوك مالي في كتابه الموسوم بـ" الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، وغير بعيد عن هذا، أمدنا **أحمد بن عبدالله القلقشندي**(ت1418م) صورة جلية عن مجتمع مملكة مالي، وبين لنا الصلات الوطيدة التي كانت تربط سلطنة برنو بمصر على أيام السلطان الظاهر سيف الدين بن برقوق1391م. وكان كتاب" **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**" لصاحبه ابن بطوطة عامرا بوصف أحوال دول غرب إفريقيا، ولاسيما مالي والتي كان قد زارها وأمضى فيها08أشهر في رحلته الثالثة والتي خصها للسودان الغربي عام1352م. وما كتبه **الحسن بن**

مُحَمَّد الوزان عن مملكة سنغاي وهذا عندما رافق عمه في بعثة سياسية أوفدها سلطان مراكش إلى بلاط الاسقيا الحاج مُحَمَّد الكبير، وتحدث الوزان أيضا عن مالي وبرنو[1].

وفي أخريات القرن15م برز أبوعبدالله مُحَمَّد بن عبدالكريم المغيلي الفقيه التلمساني الأصل، الذي كان يقيم في اقليم توات للتصدي للمد اليهودي في الصحراء، ومنها انتقل إلى تاكدا وكتسينا وكانو، ثم قد قاو عاصمة امبراطورية سنغاي اين التقى بالسلطان الحاج مُحَمَّد أسكيا هذا الأخير سأله المغيلي في بعض مسائل الشريعة[2].

ويعتبر كتاب **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب و السودان** لمؤلفه **مُحَمَّد بن عمر التونسي(ت1857م)**مصدرا هاما للتعريف بأحوال إقليم دارفور التي قامت في السودان الشرقي. أما كتابه الثاني، فهو رحلتة واداي(جمهورية إفريقيا الاستوائية اليوم) وقام المستشرق الفرنسي بيرون، الذي تعلم العربية على يد التونسي، بترجمتها إلى الفرنسية ونشرها في باريس عام1851م ولم ينشر النص العربي لهذه الرحلة حتى اليوم[3].

وما كتبه من المؤرخون وعلماء غرب إفريقيا مثل **محمود كعت**(1548–1593)م في القرن16م صاحب كتاب" تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس" الذي وحققه وترجمه المستشرقان هوداس ودي لافوس، وطبع في باريس عام1913م كما أصدرا النسخة العربية في العام المذكور، ويبحث هذا الكتاب في تاريخ ونظم دولة سنغاي تحت حكم أسرة أسكيا حتى الغزو المغربي على سنغاي في عام1591م، ويلاحظ أن أحداث كتابه انتهت أصلا عام1599م وكانت وفاته عام1593م، وهنا يبدو أن أحد أحفاه هو الذي كتب واضاف أحداث السنوات الست التالية لوفاته. و من جيل علماء تنبكتو أيضا، مؤرخ إمبراطورية سنغاي **عبدالرحمن السعدي** "عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي"(1596-1655)م، في كتابه" تاريخ السودان " الذي تناول تاريخ غانا ومالي وحضارتها وذكر قبائلها بإيجاز، ثم تحدث طويلا عن أحوال سنغاي في أثناء حكم

(1) المحاضرات العامة الموسم الثقافي1967-1968م، المرجع السابق، ص ص(13-17).
(2) نفسه، ص20.
(3) نفسه، ص18.

سلاطينها الكبار من أسرة أسكيا، وأورد السعدي تراجم لسبعة عشر17عالما من تنبكتو، والجدير بالملاحظة أن كاتبا مجهولا ولد في تنبكتو عام1751م وكان حفيدا من أحفاد الأمير بن سودو أتم كتاب السعدي بإضافة أحداث المغاربة في مملكة سنغاي في كتاب" تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان"، نشره الفرنسي هوداس عام1899م[1]. ومن مؤرخي وعلماء تنبكتو أيضا **الإمام أحمد بن فرتوه البرناوي** والذي له مؤلفين، الأول يتناول **تاريخ الإثني عشرة(12)سنة الأولى من حكم ادريس علومة سلطان مملكة برنو(1571–1583)م**، والثاني عن "**حروب كانم ضد قبائل البلالة**"، وقام بنشرهما المؤرخ بالمر، وهاذين الكتابين من أهم المصادر العربية عن تاريخ برنو الإسلامي، والراجح أن أبن فرتوه كتبهما حوالي عام1575م[2].

والعلامة الفقيه **أحمد بابا التمبكتي(1553–1627)**م صاحب المؤلفات التي تربو على الاربعين(40)مؤلفا، وفي طليعتها" **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**"، و"**كفاية المحتاج من ليس في الديباج**"، اعطانا صورة لامعة عن التراث الفكري في السودان الغربي في القرن15م وما بعده بقليل. وهؤلاء العلماء والمؤرخين كتبوا تواريخهم بالحروف العربية والتأليف باللغة العربية وصلتا إلى غرب إفريقيا مع الفتح المرابطي لإمبراطورية غانا، ومنذ ذاك الحين أصبحت لغة الثقافة والحكومة والتجارة إبان تلك الحقبة القومية من تاريخ هذه البلاد[3].

1–1– إمبراطورية غانا[4] (من القرن3م–1240م):

غانا القديمة كانت تشمل جنوب موريتانيا وشرقي السنغال وجزءا من مالي وربما غينيا أيضا، فهي غير غانا الحالية ويرجح عبد القادر زبادية أنها قامت خلال القرن3م، وامتد عمرها حتى القرن13م[1]، وإمبراطورية غانا التي

(1) المحاضرات العامة الموسم الثقافي1967–1968م، المرجع السابق، ص ص(26–28).

(2) المحاضرات العامة الموسم الثقافي1967–1968م، المرجع السابق، ص24.

(3) نفسه، ص ص19–20.

(4) **غانا**: تكاد تكون المعلومات عن فجر تاريخ دولة غانا نادرة والموجود منها ليس من الدقة بحيث يمكن اعتماده ، غير أن المعلومات تبدأ في الوضوح والدقة منذ القرن2هـ/ 8م ، حيث بدأ الكُتاّب العرب بتسجيل معلومات تفصيلية عن دولة غانا.
زار **الفزاري** غانا حوالي سنة800م، وزارها أيضا الجغرافي العربي **الشريف الادريسي** في القرن12م. أنظر: ابان حسين السنجري، المرجع السابق، ص269. وأيضا: عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص ص13–14.

ندرسها لا تبت بصلة الى دولة غانا الحديثة التي تبعد عن منطقة الإمبراطورية القديمة بنحو1600كلم في اتجاه الجنوب الشرقي[2].

وكانت غانا أول حكومة سياسية في السودان الغربي، وقد بلغت ذروة مجدها وعظمتها في القرن3هـ/9م إلى حوالي منتصف القرن5هـ/11م[3]، وبالرغم من انتشار الديانة الوثنية والمجوسية فيها إلى أن الاسلام وجد بها منذ عهد مبكر على يد تجار قبائل صنهاجة البربرية في اودغست ومن هذه الأخيرة انطلق الإسلام نحو غانا، وخضعت للفتح الإسلامي في زمن عقبة بن نافع عام55هـ/672م وهو الزحف الإسلامي لبلاد المغرب العربي[4]، وفي عام1067م وقعت عاصمتها كمبي صالح تحت سيطرة المرابطين، أما أودغست ثان مدينة من حيث الأهمية في المملكة فسقطت سنة1054م، وقد نتج عن الفتح المرابطي لها انتشار الإسلام فيها، غير أن المرابطون انسحبوا تاركين الحكم بيد ملوكها القدماء، إلا أن حكم هؤلاء الملوك لم يدم طويلا إذ بدأت اقاليمها تستقل شيئا فشيئا إلى أن سقطت العاصمة كمبي صالح في ايدي حكام قبائل الصوصو من مملكة مالي المجاورة وكان ذلك في عام1240م[5].

1- أصل التسمية وأصول سكان إمبراطورية غانا:

(1) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص12.

(2) جوان جوزيف، **الاسلام في ممالك وامبراطوريات إفريقيا السوداء**، ترجمة، مختار السويقي، الطبعة الاولى، دار الكتب الاسلامي، (دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني)، القاهرة، بيروت،1984م، ص47.

(3) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص ص11-12.

(4) ابان حسين السنجري، المرجع السابق، ص267.

(5) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص15.

كلمة غانا أسم في الأصل أطلق على ملوكها[1]، ثم اتسع مدلول اللفظ ليشمل العاصمة وعلى الامبراطورية بأكملها، وكلمة غانا بلغة سوننك معناها (القيادة العسكرية).

أما عن أصول سكانها، فأن أهل غانا القدماء كانوا يسمون انفسهم (التورودTaueud) أو (التوروثTowrooth) جاءوا أصلا من وادي دجلة والفرات اي هم من أصول آشورية وبابلية قديمة ، ولكن المعروف أن سكان أغلب سكان امبراطورية غانا في العصور الوسطى أهم من قبائل السوننك Soninke وهي من فروع الماند الأساسية أي من مجموعة الشعوب أو القبائل المتكلمة بلغة الماند[2].

ويرى إبراهيم طرخان، أن أول حكومة قامت في غانا، حكومة من البيض يقال أنها ترجع إلى حوالي القرن1م ثم صارت بأس وسطوة في القرن4م، والمتواتر في بعض المصادر أن جماعة من المهاجرين البيض الساميين جاءت من الشرق أو من شمالي إفريقيا ومن برقة بصفة خاصة، واستقرت وفي وقت ما خلال القرن4م، وهناك من يقول أن هؤلاء البيض هم من اليهود السوريين الذين كانوا يقيمون في برقة على رأي دلافوس، والمسعودي يرى أن حكام غانا الأول جاءوا من الحبشة، أما المؤرخ عبدالرحمن السعدي فيري أن حكام غانا الأول من البيض في الأصل ولا يعلم أصلهم ويقول الراجح هم من البربر الذين اختلطوا بالزنوج[3]، وأن عدد ملوك هذه الأسرة التي حكمت غانا بلغ نحو44ملكا، ويقول إبراهيم طرخان، ولم يعرف حتى الآن، بحسب علمه، من ملوك الحكومة الأولى التي قامت سوى ثلاثة أسماء أو أسمين ولقب ، هي: كيمع الذي كان يحكم في وقت ما قبل القرن4م وكارا حكم خلال القرن4م، وكنسعى كان يحكم خلال القرن7م.

وقد ظل ملوك هذه الحكومة يحكمون إمبراطورية غانا حتى أواخر القرن8م، حتى قامت أسرة من السوننك وهي أسرة سيسى Sisséa أو Sosse ونجحت في طرد أسرة البيض الحاكمة أو دولة كيمع- لقب كيمع أو

(1) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص12.
(2) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص ص(16-18).
(3) نفسه، ص ص21-22.

قيمع: تعني ملك الذهب-، وظلت أسرة سوننك تحكم الامبراطورية حتى مطلع القرن13م باستثناء الفترة التي استولى خلالها المرابطون على عاصمة غانا من عام1076-1087م[1]، وكان حكام غانا السوننك أقوى من أسلافهم البيض، إذ عملوا على توسيع حدود ملكهم، إذ استولت على أودغست في عام990م حتى حوالي منتصف القرن11م[2]، المركز التجاري المهم في حافات الصحراء الجنوبية [3].

وفي القرن20م، بدأت الحفائر لمعرفة تاريخ الامبراطورية على يد العالم الأثري الفرنسي دبلاجDesplagues في عام1907م الذي عثر على اطلال مدينة تدل على انها كانت مزدهرة، على أنها تقع على جانبي بحيرة صغيرة، وحدد مكانها على بعد نحو200ميل غربي مدينة جني، ونحو40ميلا شمال شرقي مدينة كوليكورو (غرب مالي) الواقعة شمال باماكو.

وفي عام1914م قام حاكم فرنسي لأحدى المقاطعات واسمه بوني ميزييرB.Méziéres وحفر في موقع في المنطقة المشهورة باسم " الساحل" جنوبي الصحراء واقتنع بأن هذا الموقع يحتمل أن يكون مكان عاصمة غانا[4].

وفي عام1951م أوضحا الباحثان توماسي و موني أن الآثار التي عثرا عليها ليست سوى بقايا المدينة الإسلامية من غانا، ودلت الآثار أنها كانت زاهرة وتشغل نحو ميل مربع من الأرض . يسكنها ما لا يقل عن30ألف نسمه، والراجح أنها مركز الحكومة الإسلامية التي قامت في غانا في عهدها الأخير أي عندما صار ملوك غانا على الإسلام.

وكشفت الحفريات عن عدد من المنازل والمساجد، ومن بين ما كشف عنه العالم توماسي، مؤسستان أو مبنيان كبيران يحتما أن أحدهما يبلغ نحو66قدما، وعرضه بلغ نحو42قدما، وبه سبع غرف مفتوحة داخل بعضها

(1) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص ص(23-26).
(2) نفسه، ص29.
(3) ابان حسين السنجري، المرجع السابق، ص269.
(4) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص34.

البعض، وأن المبني يتكون من طابقين بينما سلم، أما المبنى الثاني فهو أكبر من الأول، وكان يضم تسع09غرف، ولا تزال على جدرانه الداخلية بقايا الطلاء الأصفر[1].

والثابت تاريخيا، أن الكثير من سكان إمبراطورية غانا قد اعتنقوا الإسلام قبل القرن11م وأنه منذ الفتح المرابطي لعاصمة غانا ازداد عدد الداخلين في الاسلام كما أسلم ملوكها وأصبحت الحكومة إسلامية من ذلك الوقت، وظلت كذلك حتى اختفاءها من التاريخ في مطلع القرن13م[2].

2- نظام الحكم والإدارة المحلية في غانا:

ونظام الحكم في الإمبراطورية الغانية يقوم على أساس المركزية، إلا أن بعض المقاطعات أو الولايات كان الحكم فيها وراثيا في أسرة معينة، حتى إذا أحست هذه الولايات الوراثية الخاضعة لغانا بضعف في السلطة المركزية بالعاصمة ثارت واستقلت كما حدث عند دخول المرابطين غانا عام1076م[3].

ونظام الحكم في إمبراطورية غانا ملكي شأنها شأن جميع النظم القائمة في الإمبراطوريات والممالك التي ظهرت في السودان الغربي والأوسط ، وكان ملك غانا ينظر في جميع شؤون الإمبراطورية مهما كانت صحته ومقدرته ولياقته، ويعقد المجالس للنظر بنفسه في المظالم سواء أكانت في عهدها الوثني أو في عهدها الاسلامي، ويساعده كبار الموظفين ومستشاريه و وزرائه، وهؤلاء من المسلمين حتى في العهد الوثني والمسلمون في غانا هم أكبر طبقة مثقفة، هذا ما شجع على ازدهار النشاط الاقتصادي وتوفر الأمن في البلادة لمدة تقارب قرنيين من الزمن[4].

ويسكن الملك وحاشيته في مقره الملكي الذي يتوسع مدينة الغابة والتي كانت العاصمة الملكية والدينية وصفها رحالة العرب البكري هي العاصمة الملكية التي كانت محاطة بالأسوار من كل جانب، وفي مقر الملك قاعة" العرش" تستعمل في الاستقبالات الرسمية وقاعة" العدل" حيث كانت تعقد فيها المحاكمات الكبرى التي كان يتولاها الملك

(1) نفسه، ص35.
(2) نفسه، ص47.
(3) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص61.
(4) نفسه، ص ص60-61.

بنفسه وحوله أيضا تنتظم بيوت جميلة تعلوها القباب والاسقف المخروطية، ويعيش فيها كبار رجال الدين الذين يقومون بأعمال" السحر" التي تتدخل في مختلف شؤون الحياة اليومية.

والغريب في الأمر، وبالرغم من انتشار الإسلام بين قبائل السونينك إلا أنهم احتفظوا بعقائدهم المحلية المتوارثة وظلوا يمارسونها إلى جانب الشعائر الإسلامية، وكانوا يؤمنون بأن" الألة واجادو بيدا " " الثعبان الاكبر" يعيش في كهف مقدس مظلم داخل الغابة المقدسة[1]. وملوك غانا أولوا احتراما وتقديرا كبيرين للمسلمين، ومن التزام المراسيم التقليدية في التحية والسلام أثناء الاستقبالات الملكية:(فإذا دنا أهل دينه منه—الملك- جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم له أما المسلمون فإنما سلامهم عليه تصفيق باليدين)[2].

والنظام السائد في وراثة العرش في إمبراطورية غانا هو توريث ابن الأخت، ولقد اضعف الإسلام ظاهرة التوريث لأبن الأخت، ولكن لم يقض عليها قضاء تاما في جميع الإمبراطوريات والممالك الإسلامية التي قامت في السودان الغربي والأوسط، بدليل بقائها في بعض الممالك الإسلامية بالسودان، وقد شهدها الرحالة ابن بطوطة في القرن14م في مدينة تكدة، والأمر نفسه في إمبراطورية مالي، إلا أن غانا في عهدها الإسلامي من أواخر القرن11م إلى نهايتها في مطلع القرن13م اختفت ظاهرة توريث ابن الأخت وصار ملوكها يورثون الحكم لأبنائهم الذكور[3].

أما عن نظام الحكم المحلي فكانت الإمبراطورية مقسمة إلى ولايات أو ممالك، وعلى رأس كل مملكة او ولايات حاكم أو ملك، ومن أشهر الولايات: أوكار وهي نواة الامبراطورية، وكذلك هوذا في الوسط، والممالك البربرية في

(1) جوان جوزيف، المرجع السابق، ص58.
(2) أحمد الشكري، المرجع السابق، ص98.
(3) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص ص(57-59).

الشمال، وديارا في الغرب، وباسيكورو في الشرق، و واجاد وكانياجا وبغن في الجنوب[1]، إذ استقلت كل من ديارا وكانياجا وجالام، ولم يعد نفوذ السوننك باقيا إلا في أوكار وباسيكورو[2] .

واشتهرت إمبراطورية غانا بقوة جيشها وكثرة تعداد، وهو في الغالب يتكون من القبيلة أو العشيرة التي تنتمي إليها الأسرة المالكة، ومع أن خيول غانا قصيرة إلا أن جيشها عرف بقوة فرسانه، وتسلح الجيش بالأسلحة الحديدية منها السيوف والحراب والرماح والخناجر فضلا عن القوس والنشاب هذا ما مكن الجيش من القيام بحملات حربية ضد جيرانهم وانتصارهم عليهم بفضل اسلحتهم وذلك في حين أولئك الجيران يحاربون بقضبان من الأبنوس، خشب أسود صلب[3].

المحاضرة الرابعة

1- النظام الاجتماعي في إمبراطورية غانا:

(1) ابان حسين السنجري، المرجع السابق، ص271. وأيضا: إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص60.
(2) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص61.
(3) نفسه، ص63.

2- الاقتصاد في إمبراطورية غانا.

3- مدن إمبراطورية غانا.

4- سقوط وانهيار إمبراطورية غانا.

المحاضرة:

1- النظام الاجتماعي في إمبراطورية غانا:

قام البناء الاجتماعي في إمبراطورية غانا على النظام القبلي كما هو الحال في الإمبراطوريات والممالك التي قامت بالسودان الغربي والاوسط غير أن قيام حكومة مركزية مسيطرة ساعد على إضعاف التناحر بين القبائل، كما أن الإسلام وتعاليمه كانت أكبر عامل في إضعاف العصبية القبلية وإن لم تمحها[1].

ومن عادات الدفن في العهد الوثني في غانا، دفن الملك ومعه خدمه والمقربون إليه من خدمه، فضلا عن طعامه وشرابه وحليه، ويقول البكري في هذا الصدد:(... **إذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع قبره، ثم أتوا به على سرير قليل الفرش... فأخلوه في تلك القبة، ووضعوا معه حليه وسلاحه... وادخلوا الاطعمة والأشربة، وأدخلوا معه رجالا ممكن كانوا يخدمون طعامه وشرابه وأغلقوا عليه باب القبة وجعلوا فوق القبة الحصر والأمتعة، ثم اجتمع الناس فردموا فرقها بالتراب حتى تأتي كالجبل الضخم، ثم يخندقون حولها حتى لا يصل إلى ذلك الكوم إلا من موضع واحد، وهم يذبحون لموتاهم الذبائح ويقربون لهم الخمور**).

ولما صارت الحكومة الغانية إسلامية منذ القرن11م اختفى هذا التقليد وحلت التقاليد الإسلامية، وعثر على شواهد لقبور عليها بعض آيات القرآن الكريم فضلا عن دعوات لصاحب القبر وذلك باللغة العربية[2].

أما عن مكانة المرأة في غانا وفي كل إمبراطوريات وممالك في بلاد السودان فلم تنحط بالإسلام بل ظلت مكانها رفيعة بدليل انتساب أعظم سلاطين مالي إلى أمهاتهم مثل كنكن موسى المتوفى حوالي1337م الذي نسب إلى أمه نانا كانجو، وكذلك الشأن في إمبراطورية البرنو مثل الماي إدريس بن حفصة المتوفى عام1376م والماي داود بن فاطمة المتوفى حوالي1386م وهكذا[3].

2- الاقتصاد في إمبراطورية غانا:

(1) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص75.
(2) نفسه، ص ص80-81.
(3) نفسه، ص54.

من الناحية الاقتصادية في إمبراطورية غانا الثابت عظمة وشهرة وثراء الامبراطورية راجع اساسا إلى الارباح التجارية الكبيرة، وقد لعب موقعها الجغرافي الاستراتيجي في هذا الثراء[1] ، بين مناجم الذهب في بامبوك وبوري إلى الجنوب ومناجم الملح في الشمال، فقد استطاع ملوكها أن يفتحوا البلاد في وجه التجارة بين شمالي الصحراء وجنوبها[2]، وموقع عاصمتها على حدود الصحراء وفي أقصى شمال منطقة الزنوج قد جعلها حلقة اتصال بين الشمال والجنوب، كما أن حكمها في طرق القوافل المؤدية ؛إلى مناجم الذهب الكبرى في جنوبها الغربي أفادها وأثراها[3].

وسيطرتها على الطريق التجاري الهام الذي كان يسمى طريق الملح والذهب* والذي كان يمتد من وسط القارة حتى يعبر الصحراء الكبرى، وهو من اغرب الطرق والممرات التجارية التي ظهرت في التاريخ القديم وحكاية" مقايضة" الملح بالذهب، وكان يطلق على الطريق هذا اسم كايا ماغان Kaya Maghan ومعناها" ملك الذهب"، وعمليات المقايضة تتم بين قبائل السونينك التي تقدم الملح وقبائل الوانجارا التي تقدم الذهب، ولهذه العملية طقوس وإجراءات خاصة بها حيث خصصت لها سوق على مساحة واسعة منبسطة على شاطئ النهر، خلالها يقوم كل تاجر سوننكي بوضع الكمية التي جلبها من صخور الملح في كومة منظمة بشكل خاص ويضع وراء الكومة أنواع أخرى من البضائع التي ينوي بيعها مثل: جلود الحيوانات المدبوغة والعاج وثمار الكولا والقطن، وبعد أن ينتهي جميع التجار من تكويم الملح وبضائعهم الاخرى تقرع الطبول "الدبة Daba "، وهي طبول ضخمة مصنوعة من جذور الأشجار المجوفة، وهذه هي العلامة والإشارة المتفق عليها بينهم وبين تجار قبائل الوانجارا دلالة على أن السوق قد بدأ، ثم ينصرف التجار تاركين اكوام بضاعهم ويرحلون مسافة نصف يوم، عندها

(1) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص64.

(2) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص13.

(3) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص65.

طريق الملح والذهب*:– كان مستعملا منذ مئات السنين قبل ظهور إمبراطورية غانا إلا أن ملوك غانا حين قويت شوكتهم في القرن14م فرضوا سيطرتهم على مناجم الملح بمدينة تغزة وقاموا بالإشراف على نقل كميات هائلة من الملح الصخري عبر هذا الطريق إلى فيما وراء الحدود الجنوبية للإمبراطورية.=

تصل قوارب تجار قبائل الونجارا الرغبين في الشراء ويقومون بمعاينة أكوام البضائع التي تركها التجار السوننكين ويقدرون كل كومة ما يقابلها من الذهب، ثم يرحلون بدورهم إلى مسافة بعيدة، وفي صباح اليوم التالي، يأتي تجار السوننكي لمعاينة بضائع قبائل الوانجارا مقابل كل كومة، فإذا قبلوا مجتمعين الصفقة تقرع طبول الدبة مرة اخرى علامة على قبول الصفقة، ويأخذ كل تاجر كمية الذهب التي تركت امام كومته. أما في الحالات التي يقرر فيها التجار عدم قبول التجار للصفقة يترك الذهب امام كل كومة ويرحلون مرة أخرى بعيدا عن السوق بمسيرة نصف يوم، وعندئذ يعود تجار قبائل الوانجارا مرة اخرى ليختاروا بين أحد الأمرين: إما أن تستعيد ذهبها وتعود دون اتمام الصفقة، وأما أن تضع المزيد من الذهب أمام كل كومة والاحتمال الثاني هو الغالب. وفي المرة الثانية إذا قبل تجار السوننكي بالصفقة تقرع الطبول، ثم يرحل كل طرف إلى ارضه[1].

وقد حصلت غانا على ثروة طائلة من الضرائب التي فرضتها على السلع الداخلة إلى بلادها والخارجة منها، وقد أقامت نظاما جمركيا دقيقا، قرر خلالها الملك فرض ضريبة قدرها ديناران ذهب على كل حمولة حمار من الملح يدخل بلاده، وديناران عن كل حمولة تخرج من دياره[2].

ومن ناحية العلاقات الخارجية أبرزها العلاقات التجارية والثقافية وهي العلاقات التي ربطت غانا ببلاد البحر المتوسط، ومن البيوت التجارية التي ساهمت في تنشيط هذه العلاقة شركة المقري جد المؤرخ التلمساني الجزائري

= وتغزة هي المصدر الرئيسي للملح الصخري الطبيعي في مناطق غرب إفريقيا، وتقع في عمق الصحراء في شمال غرب إفريقيا، وقد زارها **الرحالة ابن بطوطة** في القرن14م و وصفها:(**جدبها الشديد، وخلوها من الاشجار او أية خضرة نباتية،...، وبيوتها الغريبة المشيدة من صخور الملح، والمغطاة بأسقف من جلود الجمال... ولا شئ هناك غير ذلك سوى بطاح شاسعة من الرمال الصفراء الملتهبة التي تحيط بالمدينة من كل جانب**). ينظر: جوان جوزيف، المرجع السابق، ص ص52.

(1) جوان جوزيف، المرجع السابق، ص ص52-54.

(2) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص67.

المعروف أحمد بن مُحَّد المقري- المتوفى عام1633م وهو صاحب كتاب نفح الطيب، ويحتمل أن هذه الأسرة بدأت أعمالها التجارية منذ القرن12م أي قبل نهاية إمبراطورية غانا، وكان لها ممثلون في مدينة ولاتا الخاضعة لغانا[1].

ووصفت إمبراطورية غانا بأنها زراعية إقطاعية، إذ يقول البكري أن الغانيون:(**يزرعون مرتين في العام على ثرى النيل- يقصد نهر السنغال على الارجح-**.). ومما يزرع أيضا في غانة الابنوس الجيد.

وكانت تجارة الذهب مصدر الربح الكبير لإمبراطورية غانا، ومع أنها لم تسيطر على المنابع الرئيسية للذهب في منطقة ونقارة(التي من أقاليها والغنية بالذهب بامبورك الواقعة عند نهر السنغال، وبور الواقعة عند أعالي نهر النيجر) إلا أنها تحكمت في الطرق المؤدية إليها فضلا عن أن بلادها ضمت بعض المناجم ولا سيما مناجم غيارو[2]، مدينة غيارو Ghiarou القريبة من نهر النيجر الاعلى وقد اشتهرت بكثرة المسلمين، إذ يقول البكري عنها:" **سكنها المسلمون، وما حولها مشركون**"[3]، ولكثرة ما حصلت عليه غانا من الذهب وصفت بأن أرضها كلها ذهب[4].

وأما تجارة الرقيق فقد راجت كذلك وحققت منعا إمبراطورية غانا أرباحا طائلة[5]، وكان في العاصمة كومبي صالح سوق رائجة لهذه التجارة، وتمون السوق بالعبيد عن طريق الاقتناص من الحدود الجنوبية، وقد عمل أهل السودان الغربي والأوسط في تجارة الرقيق في جميع بلاد السودان بين المحيط الأطلسي والبحر الأحمر، ونظرا لحاجة بلاد السودان للملح كان العبد يباع أحيانا بكمية من الملح[6]، وصدرت إمبراطورية غانا أيضا، الجلود والعاج والكولا والصمغ والعسل، وكذلك القمح والقطن هذا الأخير ينسب إلى حكومة غانا الأولى إدخال زراعته

(1) نفسه، ص75.
(2) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص ص64-65.
(3) نفسه، ص48.
(4) نفسه، ص69.
(5) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص72.
(6) نفسه، ص74.

وصناعة النسيج. فضلا عن بعض الحيوانات الأليفة منها الثيران. واستوردت غانا الملح والنحاس الأحمر والفواكه المجففة، وكذلك الودع والمسابح وأدوات الزينة، وكانت هذه السلع توزع في جميع أرجاء بلاد السودان[1].

وفي الجانب الصناعي في غانا اشتهرت عشيرة كوروماKoroma بالعمل في صناعة الحديد، كما اشتهرت بعض القبائل الأخرى بممارسة الزراعة، كما اشتهرت غيرها بالحياكة وأخرى بالرعي والصيد[2]، وكانت مدينة كومبي زاخرة بورش الاواني الخزفية ومصانع الحدادين الذين يصنعون الأسلحة والأدوات المدنية الأخرى، والنحاسين الذين يصنعون الاواني والتحف والحلي، وصياغ الذهب والمتخصصين في ترصيعه بالأحجار الكريمة وبالمدينة أيضا مشاغل النساجين والمصانع ومدابغ الجلود ومصانع الصنادل[3].

3- مدن إمبراطورية غانا:

كان نظام الحكم يقوم على أساس المركزية إلا في بعض المقاطعات حيث ظل الحكم في**ها** وراثياً في أسر معينة، كما اسلفنا ذكره، ومن أهم مدنها نجد كومبي صالح التي اتخذتها الإمبراطورية غانا حاضرة ل**ها**، وبها يقيم كبار موظفي الملك ومستشاريه من المسلمين حتى في عهدها الوثني والإسلامي، و تألفت العاصمة من قسمين يقطن المسلمون أحدهما ويسكن الوثنيون في القسم الآخر، وقد أطلق المسلمون على ذلك القسم بالغابة نظراً لما يحيط ب**ها** من أحراش، وبالمدينة مباني متصلة ببعضها والمبنية بالأحجار وخشب السنط[4]. والقسم الآخر من المدينة بها نحو اثني عشر12مسجدا وألحق بكل مسجد مدرسة لتعليم القرآن وقواعد الدين واللغة العربية، كما أن القسم الإسلامي منها كان مليئا بالعلماء والفقهاء والأئمة[5].

(1) نفسه، ص ص65-66.
(2) نفسه، ص75.
(3) جوان جوزيف، المرجع السابق، ص58.
(4) ابان حسين السنجري، المرجع السابق، ص270.
(5) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص83.

ومن مدن إمبراطورية غانا مدينة اودغست* وهي على بعد احدى وخمسين(51) مرحلة من غانا- مقدار المرحلة بـ40.320كم -، وهي أول محطة تجارية نشطت على الحدود الشمالية لمملكة غانا[1].

3- سقوط وانهيار إمبراطورية غانا*:

اختفت إمبراطورية غانا عن مسرح التاريخ السياسي في غربي إفريقيا في مطلع القرن13م، غير أن عوامل الانهيار قد بدأت قبل ذلك بأمد طويل كان أولها عامل طبيعي الجفاف التدريجي الذي حل بالمناطق الواقعة شمالي حوض السنغال قبل القرن11م هذا ما دفع بالناس بالهجرة والتفرق.

مدينة أودغست*: سكانها خليطاً من العرب المغاربة وقبائل السوننكي وقبائل جدالة ومسوفة ولمتونة احدى قبائل صنهاجة التي تتمتع بحق السلطة، وقد عرفت المدينة بحركتها التجارية النشطة، وساعد في تكوينها تجار من الشمال الافريقي من سجلماسة ودرعة وغدامس فجلبوا إليها القمح والتمر والزبيب ويجلب منها العنبر والذهب لقربها من المحيط الاطلسي. ينظر: ابان حسين السنجري، المرجع السابق، ص ص270-271.

(1) ابان حسين السنجري، المرجع السابق، ص271.

سقوط وانهيار إمبراطورية غانا*: وبحسب العديد من القصص والأساطير، والتي ظلت تتوارثها قبائل السونينك جيلا بعد جيل، منها ما يرى بأن سقوطها وانهيارها ، يرجع إلى الاحتفال الذي أقيم عام1240م اشتركت في مسابقة الجمال عذارى جميلة اسمها ضياDia كان قد سبق اختيارها باعتبارها أجمل الجميلات بالعاصمة التجارية كومبي، وتم اختيارها أجمل العذارى الجميلات اللائي جئن من كافة مناطق واقاليم الامبراطورية، وبهذا اضحت قربانا للاله "وجادوا بيدا "الاله الاكبر الثعبان" ولكن الحكاية تقول أن ضيا كانت تعيش قصة حب مع خطيبها عمادوAmadou وهو شاب قوي من أحسن الفرسان المحاربين في كومبي إلا أن عمادو رفض هذه العادة وحاول انقاذ حبيبته بالحسنى فلم يتقبل منه، ولذلك دبر عمادو في نفسه امرا، وهو التسلل في الليل سرا إلى الغابة المقدسة، في الليلة التي يقدم فيها حبيبته كقرابا للاله، والدخول الى الكهف المظلم الذي يتخذه الاله مسكنا وعرشا، وهناك اخرج سيفه وبضربة واطاح براس الثعبان وبحسب الاسطورة-، فإن راس الاله لم تسقط ارضا بل طارت في الهواء ولمسافة بعيدة حتى هبطت على أرض بامبوكBambuk التي أصبحت ترابها في الحال من الذهب الخالص، وبحسب الاسطورة- ، ظهرت رأس ثانية اطاح بها عمادو بسيفه وهي الاخرى طارت في الهواء لمسافة بعيدة لتسقط في مدينة بوريBure وهي الأخرى امتلأت بالذهب وتكرر الأمر، وبحسب الاسطورة-، إلى أن قطع عمادو الرأس السابعة عندها استسلم الثعبان وسقط على الأرض، وعندئذ خطف الفرس عروسه على صهوة حصانه وانطلق بها إلى حيث لم يرهما أحد بعد ذلك ابدا.

ومنذ مصرع الاله الثعبان في ذلك الزمن، وحسب الاسطورة- ظلت قبائل السونينك في حزن وبكاء ويذرفون من الدموع لعل الاله يعود إلى الحياة من جديد، ولكن جهودهم ضاعت، وسرعان ما جفت الأرض وانتشرت المجاعة، وماتت القطعان والحيوانات من شدة العطش، وهرب من هرب وبهذا دخلت إلى التاريخ الافريقي ذكريات عن إمبراطورية ظلت ولمئات السنين من أقوى ممالك وامبراطوريات غرب افريقيا. وهذا ما تقول به الاسطورة. ينظر: جوان جوزيف، المرجع السابق، ص ص59-60.

وهناك عاملا آخر، والذي كان حاسما والمتمثل في خروج العديد من المناطق أو الامارات أو الممالك الخاضعة لها عن سلطتها وتطلعها للسلطة والسيادة[1]، أما العامل الحاسم في سقوط الامبراطورية الغانية هو غزو قبائل الصوصو الوثنية لها حيث استولى سومانجورو Sumanguru على العاصمة كومبي صالح عام 1203م، وبذلك أنهي الصوصو سيادة الملوك الغانيين المسلمين، والصوصو هم فرع من الفولانيين هاجروا من بلاد تكرور وكونوا طبقة حاكمة في اقليم كانياجا Kaniaga التابع لإمبراطورية غانا وظل حكامهم يدفعون الجزية لحكومة غانا لفترة طويلة، حتى فتح المرابطين لغانة عام 1076م خرج الصوصو وأعلنوا استقلالهم وانفصالهم عن غانا وأخذوا في التوسع على حساب المناطق المجاورة لهم حتى انتزعوا من غانا إقليم ديارا في أواخر القرن 12م.

و وسع سومانجورو إمبراطورية الصوصو وتوجه جنوبا حيث توجد دولة الماندنجو النامية في كانجابا وهي التي اشتهرت باسم إمبراطورية مالي، وهي موضوع بحثنا فيا سيأتي، ويقال أن سومانجورو قتل أولاد الملك الماندنجي فاري فامغان Famaghan Naré (الذي حكم حوالي 1218-1220) من أسرة كيتا الأحد عشر ونجا أصغرهم وهو المشهور باسم ماري جاطة أى ولد الاسد[2].

05- المحاضرة الخامسة

1- إمبراطورية مالي.

أ- دور التأسيس (1225-1455) م.

(1) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص51.

(2) إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص ص63-54.

ب– دور الازدهار والقوة.

ت– دور الضعف.

2– انتشار الإسلام في إمبراطورية مالي.

3–3– مملكة سنغاي(7–16)م.

المحاضرة

1- إمبراطورية مالي[1]:

امتد حكم الامبراطورية على جمهورية مالي الحالية وعلى الجزء الشمالي الشرقي من السنغال، وشمال كل من بوركينافاسو(فولتا العليا)، والبينين(الداهومي سابقا)، والجنوب الأقصى من جمهورية موريتانيا، ومالي هى أكبر الإمبراطوريات اتساعا في إفريقيا الغربية.

وقامت مملكة مالي على أنقاض مملكة غانا التي انهارت أمام هجمات قبائل السوشو أو الصوصو الوثنية، وخلالها تصدى شعب **الماندينغ و الماندينغ** بقيادة الزعيم **سوندیا تاكيتا** في وجوه قبائل السوشو فتمكن من الانتصار عليهم في معركة كيرينا حوالي عام1235م وهذا التاريخ يعتبر بداية انتشار سلطان مملكة مالي على إفريقيا الغربية وبداية نشوء الإمبراطورية المالية. وقد مرت إمبراطورية مالي في تاريخها بثلاثة أدوار بارزة، وهي:

أ- دور التأسيس(1225-1455)م: وخلاله أمتد حكم مالي على كل مملكة غانا التي ألحقت بمالي نهائيا سنة1240م، كما بدأت في التوسع نحو الشرق وفي الفوتاجالون. وأتخذ أمراءها من الماندينغ لقب منسا أي(السلطان)، وقسمت الإمبراطورية إلى مقاطعات ولي عليها أفراد من العائلة الملكية وجعل حكمها وراثيا فيهم[2]، وشملت خمسة اقاليم كل اقليم عبارة عن مملكة مستقلة باسم سلطان مالي: **مالي** ويتوسط اقاليم هذه

(1) **إمبراطورية مالي:** وقد أشار كل من **البكري(أبو عبيد الله بن عبد العزيز الاندلس**)في كتابه **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب** وهو جزء من كتاب **المسالك والممالك**، و**المسعودي(ابوالحسن علي بن الحسين بن علي)** في كتابه **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، في الجزء الأول، **واليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب)** في كتابه **تاريخ اليعقوبي**، الجزء الأول، بوجود بلد أو مملكة اسمه "**ملل**"، اما **القلقشندي**(أبو العباس أحمد بن علي) في كتابه **صبح الاعشى في صناعة الانشا**، الجزء5، فذكرها باسم "**مالي**". أنظر: بشار عبدالجبار شبيب، " **دولة مالي الإسلامية1238-1488م**"، مجلة ديالى، العدد09، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة ديالى، بغداد،2013م، ص3.

(2) عبد القادر زبادية، المرجع السابق ، ص16.

المملكة وقاعدته مدينة بنى- ، و **صوصو** غرب اقليم مالي وغانا غرب اقليم صوصو ويمتد الى المحيط الاطلسي ، و **كوكو** يقع شرق اقليم مالي، و **تكرور** يقع شرق اقليم كوكو[1].

وفي الجانب الاقتصادي فقد عمل حكام مالي على تشجيع زراعة القطن، ونظموا جباية الضرائب على الواردات والصادرات.

ب- دور الازدهار والقوة: وقد استمر طيلة القرن14م تقريبا وخلاله عم الأمن كل إمبراطورية مالي وازدهر اقتصادها، ويرجع هذا الازدهار والقوة للعديد من العوامل، وهي:

- اعتماد حكام مالي على سياسة التوسع وإخضاع القبائل واسناد أمرها إلى العائلات المتنفذة فيها من قبل، وكان الحكام يأخذون أبناء هذه العائلات كرهائن طيلة الفترة التي يكون آبائهم في الحكم، ووصلت حدود المملكة من الجهة الشرقية إلى مشارف بحيرة تشاد.

- الاعتماد على عائدات الضرائب المنتظمة والمحددة على السلع الداخلة والخارجة من الإمبراطورية فكثر مال خزينتها، وهذا بجذب التجار من أقاصي المملكة وخاصة من الجزائر والمغرب، ومصر مثلا: بلغت احمال القوافل السنوية المجهزة من ورجلان(ورقلة)إلى مالي اثني عشر12ألفا.

-علاقات دبلوماسية نشطة ربطتها مع بلدان شمال إفريقيا ومنها مصر و المغرب، حيث أرسل **كانكان موسى**[2] وفدا ليهنئ سلطان المغرب أبو الحسن1331-1351م حينما انتصر على مملكة تلمسان، وسجل لنا

(1) بشار عبد الجبار شبيب، " **دولة مالي الإسلامية1238-1488م**"، مجلة ديالى، العدد09، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة ديالى، بغداد،2013م، ص4.

(2) **كانكان موسى**: هو من أعظم ملوك مالي، مر في طريقه للحج بالقاهرة في عام1324م انخفضت قيمة الذهب بأسواقها6بالمئة وذلك لكثرة ما انفق في شراء الكتب والهدايا والجواري، أما في مكة فقد انفق20ألف قطعة من الذهب، وعند عودة كانكان موسى من حجه اصطحب معه الشاعر المهندس أبا إسحاق إبراهيم الساحلي، والمعروف بالطويجن الذي كلف ببناء مسجد ضخم بالمدينة أطلق عليه اسم مسجد جنكر بير ومعناه الجامع الكبير، كما كلف ببناء القصرالملكي مادقوMadougou، الذي يقال إنه أدخل الطراز الأندلسي إلى مالي ببنائه المساجد في تمبكتو فدفع له12ألف مثقال من الذهب، وأصطحب معه أيضا عددا من رجال الدين، والتجار.

عبدالرحمان بن خلدون عدة بعثات من مملكة مالي إلى مراكش فاستقبلت بحفاوة وكانت تحمل مها هدايا من الزراف. كما اتصلت لأول مرة بالبرتغاليين، وكما حاولت جمهوريات إيطاليا الاتصال بمكلة مالي الغنية عن طريق المغرب لكنها فشلت، وأيضا في هذه الحقبة حاول **الرحالة والتاجر الإيطالي مالفانت** الوصول إلى **مالي عن طريق توات ولكنه لم يوفق**[1].

ت– دور الضعف: دخلت في مملكة مالي حالة من الضعف بداية من القرن15م بسبب تنافس وتناحر بين أفراد الأسرة الحاكمة فيها، ومع بداية القرن16م خسرت الامبراطورية مناطق كثيرة من أراضيها سواء في الشرق والشمال والجنوب، وفي النصف الثاني من القرن16م تمكنت مملكة سنغاي الناشئة أن تبسط نفوذها على اراضي واسعة منها وتقيم على أنقاضها إمبراطورية جديدة ألا وهي إمبراطورية سنغاي[2] ، ويرجع اسباب ضعفها إلى:

واختلف عدد من المؤرخين في اسمه فمنهم من أطلق عليه موسى ابن أبي بكرالأسود...، ومنهم من أطلق عليه موسى بن أبي بكر...،وهناك من سماه بـ:منسى موسى بن أبي بكر، واشتهر باسم منسى مسى أو كنكه موسى، ومنسا في لغة الزنج تعني ملك وموسى اسمه، أما لقبه كنكه موسى فكنكه اسم أمه، وهوما درج عليه أهالي السودان الغربي من نسبة الابن إلى أمه.

ولما توفى السلطان بعد خمسة وعشرين(25)سنة من حكمه خلفه ابنه منسا مغا حكم أربع(4)سنوات، ولما هلك خلفه منسا سليمان بن أبي بكر. أنظر للمزيد:

– عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص18.

– الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن15إلى بداية القرن18**، ص56.

Hubert,(D),**Histoire générale de l'Afrique noire**;tome1:des origines -à1800,paris,p 192

– عبدالرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدا والخبر**، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت ،2000،الجزء6، ص267.

Tombouctou et L'Empire Songhay, nouvelles Sekené Mody Cissoko, -éditions Africaines Dakar,1975,p.33.

Boubou (H) , **Histoire des Songhay** , by présence Africaine, paris , 1968 p322.

(1) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص ص17–18.

(2) **إمبراطورية سنغاي**: نسبة إلى قبيلة سنغاي وهي قبيلة تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية، وفي القرن7م كانت تمتد مساكنها حول النيجر بحوالي150كلم . أنظر: عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص ص17–18.

- انغماس حكامها في الملذات من جراء الازدهار وغنى المملكة.

– استيلاء الطوارق على تمبكتو وجيني وهما من أهم المراكز التجارية في البلاد.

– هجوم قبائل الموسي الوثنية من الجنوب، وقبائل الألوف من الغرب، وقبائل سنغاي من الشرق والطوارق من الشمال[1].

– دخول مملكة مالي في حالة من الفوضى والاضطراب بعد تولي ماري جاطة الثاني السلطة فيها، حيث بدأ التنافس بين كبار الموظفين للسيطرة على السلطة[2].

1– انتشار الإسلام في إمبراطورية مالي:

– بدأ الاسلام يدخل إلى مملكة مالي في القرن 12م عن طريق التجار العرب المسلمين وعن طريق الدعاة والفقهاء وركز هؤلاء على الاتصال بالطبقة الحاكمة على اساس التقرب منهم وضمان العيش فيهم[3].

– التزام أهل مالي بالإسلام والعبادات وتحتل الصلاة مقدمة تلك العبادات، وقد عمرت المساجد حتى أن **ابن بطوطة** في رحلته المسماة " **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب**" اعتبر أن من أعمال أهل مالي الحسنة:" **اقبالهم على الصلاة والمواظبة على الجماعات، وضرب أولادهم عليها، وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد اين يصلي لكثرة الزحام ، ومن عاداتهم أن يبعث كل انسان غلامه بسجادته فيبسطها له بموضع يستحقه حتى يذهب إلى المسجد وسجادتهم من سعف شجر يشبه النخل ولا ثمر له، و لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة...، وعنايتهم بحفظ القرآن الكريم وهم يجعلون لأولادهم القيود اذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه**"[4]. ولكن من جهة أخرى وبالرغم من اعتناق

(1) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص19.
(2) بشار عبد الجبار شبيب، المرجع السابق، ص5.
(3) تفسه، ص20.
(4) بشار عبد الجبار شبيب، المرجع السابق، ص5.

مالي الاسلام إلا أنها لا تستطيع أن تهجر بعض العادات والتقاليد التي ورثتها من أجدادها اذ أن ابن بطوطة ذعر حينما رأى أن نساء السلطان وجميع النساء في القصر عاريات لا يتسترن بشيء وحتى بنات، إذ يقول أن بطوطة:(**لقد رأيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصره عرايا**)[1].

– لما أصبحت مالي في أوج عظمتها وازدهارها كان لأهل مالي رواق في الأزهر، عرف باسم **الرواق التكروري** يتخرج منه المتعلمون الأفريقيون ليعودوا إلى بلادهم لنشر الثقافة العربية.

– وكانت مملكة مالي محطة لجذب انظار الرحالة المسلمين فزاروا تلك البلاد ووصفوها بالتفصيل ولا سيما الرحالة ابن بطوطة واصفا حالة الأمن والاستقرار والعدالة السائدة فيها يقول: ".. **فمن افعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه... ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب**"[2].

1–3– مملكة سنغاي(7–16)م:

تأسست دولة سنغاي في القرن7م، واستمرت تقوى باستمرار وتتوسع حتى القرن16م، حيث دخلت في طور الضعف نتيجة لانهماك الأمراء المتأخرين في المنازعات العائلية، وأنتهى وجودها بحملة المغاربة على البلاد سنة1591م[3]. وقد اتخذت من مدينة غاو (هي مدينة في شمال مالي) كعاصمة لمملكة مالي منذ القرن11م، أما قبل ذلك فقد كانت العاصمة في مدينة كوكيا على نهر النيجر.

وقد حكمت مملكة سنغاي في بداية أمرها **عائلة ضياء حتى عام1335م**، وعائلة ضياء يضن أنها قدمت من منطقة طرابلس، وفيها كانت تتزعم قبائل لمته وهوارة، ثم انتقلت هذه القبائل وسكنت جهات النيجر في زمن قديم، ومنها انحدرت عائلة ضياء هذه.

(1) نفسه، ص ص8-9.
(2) نفسه، ص ص7-8.
(3) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص20.

وابتداء من عام**1335م** انتقل الحكم إلى **عائلة سني** والتي استمر حكمها إلى غاية**1492م، وعائلة سني هى الأخرى فرع من عائلة ضياء** الطرابلسية، بعد أن استطاعوا فصلها عن إمبراطورية مالي، وقد حكم من أسرة سني18أميرا ، ومنذ عهد **علي بير(الكبير)1435-1493م دخلت سنغاي طور الإمبراطورية** حيث وسع حدودها على حساب القبائل المجاورة لها، وبعد وفاة سني علي في عام1493م حكمها **الاسقيين*** بداية من حكم **الحاج مُحَمَّد الكبير**.

وزادت إمبراطورية سنغاي اتسعا خلال عهد الاسقيا الحاج مُحَمَّد الكبير إذ وصلت الامبراطورية أوج قوتها وتوسعها، ويعتبر تسلم الأسقيا مُحَمَّد عرش سنغاي بداية عهد انتظام المملكة وبداية حكم التكروريين** في البلاد، وقد توالى في حكمها09ملوك خلال هذه الفترة من تاريخها منهم[1]: الأسكيا الحاج مُحَمَّد الأول الكبير1493-1528م الذي حكم دام 35سنة، ثم خلفه ابنه أسكيا موسى1528-1531م. أسكيا إسحاق1543-1549م، ثم ابنه أسكيا داوود1549-1583 الذي حكم 34 عاما.ثم إسحاق الثاني1583-1591م، ففي فترة حكم الأسقيين بلغ سنغاي أوج السيادة والازدهار ، وخاصة في عهد الأسكيا الحاج مُحَمَّد الذي توسعت فيه المملكة على حساب المناطق المجاورة لملكه ذا فتح ديار تندرم و أبر وجني وكان هذا عام1497م، وغزا فيما بين أعوام1498-1520م الاقاليم الممتدة من بلاد مالي إلى كانو(شمال نيجيريا)، وكتسينا، واجتازت قواته الصحراء.

- كانت إدارته للبلاد مضرب الأمثل فعم العدل وانتشر الأمن وكون جيشا لحماية بلاده.
- أنشاء المدارس في تمبكتو واشتهر في أيامه معهد سنكوري الديني.

الاسقيين*: والاسقيين هم من أصل سراكولين الذين كانوا قد هربوا أمام الغزو المرابطي في القرن11م من جنوب موريتانيا الحالية، ثم تفرقوا في جهات عديدة من السودان الغربي على أن جلهم تركز حول نهر النيجر واختلط بقبائله. . ينظر: عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص21.

التكرور*: التكرور أصل اطلاقها كان على منطقة السنغال الشرقية ثم عم إطلاقها على السودان الغربي كله. ينظر: عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص21.

(1) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص ص20-21.

- أقام في كل من جيني وقاو معاهد للعلم.
- احترام وتقدير رجال الدين والعلماء وقربهم اليه وكان ممن اجتبهم إليه مُحَمَّد عبدالكريم المغيلي*[1]. وهنا يذكر عبدالقادر زبادية أنه وجد مخطوط المغيلي بالمكتبة الوطنية بالجزائر، ووجد النسخة الثانية بالمكتبة الوطنية في باريس، والذي حقق مخطوط تحت عنوان." أسئلة الأسقيا واجوبة المغيلي"، وتكمن أهمية المخطوط بكونه يلقى الضوء على الوضع الاجتماعي والسياسي بدولة سنغاي على عهد الأسقيين. والمخطوطة هي عبارة عن مسائل ومواضيع كانت تشغل بال الأسكيا لحكم بلاده وفقا لشرع الله؛ فكان خلالها الاسقيا الحاج مُحَمَّد يسأل والشيخ المغيلي يجيبه وهذا بعد أن التقيا في كاغو سنة1502م[2]. وابتداء من عام1525م أي قبل وفاة الأسكيا الحاج مُحَمَّد بثلاث سنوات دخلت سنغاي في عدم الاستقرار بسب صراعات أولاد الأسكيا ومؤامرات لتولي الحكم إلى أن سقطت على يد السلطان المغربي مولاي أحمد المنصور الذهبي في عام1591م في أيام حكم الاسقيا إسحاق[3].

(1) عبد الرحمن زكي، **تاريخ الدول الإسلامية بإفريقيا الغربية**، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة،1961م، ص ص(138-148).

مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي*:-رحمهم الله- ينسب- رحمه الله- إلى قبيلة مغيلة، التي تقطن نواحي تلمسان، ولا يعلم تاريخ ولادته بالضبط ، غير أن وفاته=

= غير أن وفاته في سنة909هـ/1503م، وقد كان من المثقفين، وأولى الفكر في عصره، وقد انتقل بعد إتمام دراسته بالشمال، إلى الصحراء فسكن توات، وبها توفى، ولا يعرف سبب انتقاله إلى الصحراء غير أن حملته على اليهود القاطنين بها في زمانه، ورسائله العديدة في موضوعهم تحمل على الظن بأنه وجد ضيقا في العيش بالشمال، حيث يسيطر اليهود في أهم المدن على مصادر التجارة، والمال، وتوغلوا في شراء ذمم بعض المسؤولين فأصبحوا صنائع لهم، ولما انتقل إلى الجنوب وجد اليهود يشاركون بنشاط في حركة القوافل التجارية مع السودان ويتصرفون تصرفات أكثر حرية مما في الشمال فدعا لمحاربتهم. ينظر: مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي، **أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي**، تحقيق، عبدالقادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974، ص ص8-9.

(2) مُحَمَّد بن عبدالكريم المغيلي، **أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي**، تحقيق عبدالقادر زبادية، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر،1974، ص ص(6-17).

(3) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق، ص ص(144-148).

- وفي عهد الأسقيا الحاج مُحَمَّد الكبير، سيطرت إمبراطورية سنغاي على مصادر الثروة(الذهب- الملح)، كما سيطرت على طرق التجارة الرئيسية بين الشمال والجنوب بما تدره من ضرائب، والدليل على ذلك قيل أن:(**رحلة أسكيا الحاج مُحَمَّد الكبير إلى الحج عام1494م نافست في عظمتها وابهتها وجلالها رحلة منسى موسى**)، وشهدت الامبراطورية حالة من الأمن والاستقرار في عهده، إذ كان القضاة عدولا، ولا أثر للرشوة، وقد كثر بها العلماء خاصة في تمبكتو وجني هؤلاء العلماء عملوا على نشر الاسلام بين القبائل الوثنية في قبائل الهوسا والموسى[1].

وأبتدأ من عام1591م شهد السودان الغربي حكم باشاوات المغرب الاقصى، ومر حكمهم بثلاث مراحل متمايزة:

– المرحلة الأولى(1591– 1612)م: كان الباشاوات في هذه المرحلة يعينون من طرف السلاطين مباشرة، وقد قضى الباشاوات أيامهم في القضاء على الثروات، التي كانت لا تكاد تنقطع ضد الحكم المغربي في مختلف جهات المملكة، أما المتأخرون منهم فأصبحوا يلاقون المؤامرات بشكل مستمر تقريبا من طوائف الجند التي كانت قيادتهم بتلك البلاد[2].

– المرحلة الثانية(1612–1660)م: الباشاوات في هذه المرحلة يعينون من طرف طوائف الجند[3] ، بخلاف المرحلة الأولى فالباشاوات كانوا يعينون من طرف طرف السلطان مولاي أحمد المنصور، ، وغالبا ما يتناولهم التغيير[4].

(1) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص ص20-21.

(2) مُحَمَّد بن عبدالكريم المغيلي، المصدر السابق، ص ص13-14.

(3) مونتاي، **الإسلام الأسود**، ترجمة، إلياس حنا إلياس، الطبعة الأولى، دار أبعاد، بيروت،1983، ص60 .

(4) عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 220 .

واعتبارا من تاريخ 1621م،بدأت سلسلة من الثورات العسكرية، وقتل الباشاوات لبعضهم البعض، هذا ما أسرع في زوال السلطة في المنطقة ما بين تنبكت، وجني . وكان الباشاوات يمارسون السلطة عن طريق العنف، وتزايد الفوضى والاغتيالات[1]، وهؤلاء الباشاوات حكموا فترات قصيرة، حيث هناك من حكم 3 أشهر فقط، وهذا يدل على عدم الاستقرار والأمن هذا من جهة، ومن جهة أخرى شهدت مدينة تنبكت سنوات من القحط، والمجاعة، متسببة في انتشار الأوبئة ، والأمراض، وبالتالي مات خلق كثير.

– المرحلة الثالثة(1660–1780)م:

في المرحلة الثالثة من حكم الباشاوات عرف حكمهم في السودان الغربي بالضعف، وأصبحت سلطتهم لا تكاد تتجاوز حدود تنبكت وضواحيها القريبة[2]، ويذكر الباحث حسن أحمد محمود، أن عدد الباشاوات الذين تعاقبوا على حكم تنبكت في المدة 1660م إلى غاية 1750م مائة وثمانية وعشرون (128) باشا[3]. هذا يعني أن كل باشا حكم بمعدل 8 أشهر.

---

7) (Boubou, (H),**Histoire des Songhay**, by présence Africaine, paris, 1968.p.335

(2) مُحَمَّد عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص15.

(3) حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر العربي القاهرة،2001، ، ص 125.

المحاضرة السادسة

1- ممالك السودان الأوسط.

2-1- ممالك الهوسا أو الحوصا.

1- أصل التسمية.

1-أ- لغة .

1-ب- اصطلاحا.

2- موطنهم.

3- انتشار الإسلام في أمارات الهوسا.

2-2- مملكة الكانم بورنو(1085-1893)م.

المحاضرة

1- ممالك السودان الأوسط: لم تكن إمبراطوريات السودان الغربي وحدها تسجل تاريخها في غرب القارة الإفريقية، بل هناك ممالك ظهرت في السودان الأوسط أو السودان التشادي لها تاريخ ولعبت ادوار حضارية كمثيلاتها في غرب إفريقيا ومنها نجد:

2-1- ممالك الهوسا أو الحوصا [1]:

1- أصل التسمية:

1-أ- لغة: قسم علماء اللغات أسم الهوسا إلى قسمين (هو) بمعنى أركب ، (سا) بمعنى الثور أي بمعنى راكب الثور ، ويعتقد عدد من المؤرخين أن لغة الهوسا كانت موجودة ومستخدمة إلا أن استخدام الثور كوسيلة للنقل كانت غريبة عند أهل غوبير أو أنهم أخذوها من عرب بغداد.

1-ب- اصطلاحا: كلمة الهوسا كانت أسم اللغة التي تتحدثها القبائل المنتشرة في هذه المنطقة التي ما لبثت أن عرفت بهذا الاسم منذ القرن16م، وحتى ذلك الحين كانت تعرف بأسماء مدنها او ممالكها المختلفة ؛ فالهوسا مجموعة لغوية أكثر منها مجموعة قبلية، ولقد قاموا أول الأمر في (اسبن) ثم طردهم الطوارق منها والهوسا في العصور الوسطى كانت منقسمة إلى مجموعتين فرعية وأصلية[2] .

2- موطنهم: الهوسا او الهاوسا هي شعوب تعيش في مناطق غرب أفريقيا في **شمال نيجيريا وجنوب غرب النيجر**، كما يوجد جماعات تابعه للهوسا أيضا في **السودان، الكاميرون، غانا وساحل العاج ، وتشاد** ويوجد مجتمعات صغيرة لهم في غرب افريقيا. وبلاد الهوسا عبارة عن هضبة متموجة السطح يتراوح متوسط ارتفاعها

(1) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص22.

(2) ثريا محمود عبد الحسن وازهار غازي مطر، "**امارات الهوسا در دراسة في التاريخ الحضاري والثقافي**"، مجلة العلوم الانسانية، كلية التربية الأساسية، جامعة ديالى، ص586.

بين1500 إلى 2000قدم فوق سطح البحر وهي ذات سهول وتلال وهضاب، واودية ورمال وأنهار تدخل في منطقة السفانا الشمالية.

ويرى البعض أن الهوسا من **أصل عربي من العراق**، وأخرين يقولون انها كانت قبائل تمتهن الزراعة وصيد السمك والصيد البري على طول الشاطئ الغربي لبحيرة تشاد.

أما دويلات بلاد الهوسا فقد كانت منذ القرن11م وتتكون هذه الامارات من **سبع 7**ممالك يطلق عليها أسم **(هوسا بوكوى)** أي **ممالك الهوسا السبع الاصلية**، وهي **جوبير وكاتسينا وزاريا وبيرام وانفارا ورانو** ، وبجانب هذه الممالك الاصلية هناك سبع7 ممالك غير اصلية يطلق عليها **(بترابوكوى)**، وتشمل **كيب وزمفرا ونيب وجوارى ويورى وايللوريت وكوارزخا**، وتنقسم قبائل الهوسا إلى 16 قبيلة.

وبحسب بعض الاساطير ترجع **أصل القبلي للهوسا** ترى أن نسب الهوسا يعود إلى الأمير التركي(بابا جيدا)الذي هرب من بغداد نتيجة خلاف قد وقع بينه وبين والده، فلجأ إلى بحيرة تشاد حيث كانت توجد **دولة كانو** وقد قام الملك بتزويجه ابنته (ماجيرا)، وبعد أن دب الخلاف بينه وبين الملك عقد الاخير العزم على قتل بابا جيدا، وبعد أن شك الأمير في دوافع الملك قرر الفرار باتجاه الغرب تاركاً زوجته الحامل حتى وصل دورا، وفي طريقه كانت توجد بئر ماء إلا أن افعى ضخمة كانت تمنع الاهالي من سحب الماء منه وكانت هذه الافعى يطلق عليها اسم (سركي) وتعني بلغة الهوسا الزعيم، وقد تمكن بابا جيدا من قتلها بواسطة، ونتيجة لشجاعته وقتله للأفعى عجبت به ملكة البلاد المسماة **(دوراما)** فتزوجته وأنجبت وقد رزق بستة أبناء هم **باوا** و**دورا وغوبير وزاريا وكاتسينا ورانو**، ويضاف لهم الأبن السابع للأمير **بابا جيدا** من زوجته الأولى **ماجيرا** كان أسمه **برم** الذي حكم منطقة **بيرام** مما جعل مناطق الهوسا تتكون من سبع دول، وأصبحوا فيما بعد مؤسسين لإمارات الهوسا[1] .

2- انتشار الإسلام في أمارات الهوسا:

(1) ثريا محمود عبد الحسن وازهار غازي مطر، المرجع السابق، ص ص587-588.

ما يزال تاريخ دخول الاسلام لأول مرة إلى بلاد الهوسا محل جدال بين أهل الاختصاص فربما يكون دخل في منتصف القرن14م تقريبا عن طريق الديولا، والونقارة القادمين من مالي، وقد تأثرت هذه الامارات بالعقيدة الاسلامية التي وصلت اليها مع هؤلاء التجار في أثناء ما كانت مملكة مالي في أوج عظمتها، وقد أثر هؤلاء الدعاة الوافدين تأثيراً ملحوظاً في امارات الهوسا الغربية شمال نيجيريا وكان من أبرز الدعاة العالم الفقية التلمساني عبد الكريم المغيلي المتوفي سنة1503م.

ومن الراجح أن ملوك **كانو** قد اعتنقوا الاسلام في وقت مبكر كما أن **الساركن السابع** هو **جيجماسو– 1247–1290 م** كان قلقاً بشأن تفشي الوثنية وعمل على استئصالها ولكنه فقد بصره، وقام **الساركن التاسع** هو **تسيااميا شيكاروا1307–1343م** بتدمير أماكن العبادة الوثنية ، ولم تكن الاحوال أفضل في **كاتسينا** خلال عام3110م حيث أعتنق ساركن كاتسينا الاسلام وفي الوقت نفسه، حيث أعلن جميع ملوك الهوسا اعتناقهم [1] .

2–2– مملكة كانم بورنو(800–1432)م: قبل القرن11م أي قبل دخول كانم الإسلام لا نعرف تاريخها المبكر سوى بعض الأساطير المتعلقة بشعب ساو الذي عاش على أرض كانم جنوبي بحيرة تشاد[2]، وهناك من يقول أن **شعب بولالا** هو من أسسها قبل مجئ الاسلام. والثابت أن مملكة الكانم بورنو قامت في المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد وتشمل اليوم جمهورية تشاد وقسما من شمال نيجيريا[3].

أ– مملكة كانم(800– إلى منتصف القرن16م):

تتفق بعض روايات المؤرخين منهم المؤرخ اليعقوبي، والمؤرخ الفرنسي أرفويIrvoy على أن مملكة كانم كانت موجودة حولي عام800م، ويرجع تأسيسها إلى الأسرة السيفية (سيف بن ذى يزن)،وكانت عاصمتها نجيمي[4]،

(1) نفسه، ص 588.
(2) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق،ص ص173–174.
(3) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص ص24–25.
(4) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق،ص ص173–174.

ويقول عبد الرحمن زكي في كتابه **تاريخ الدول الإسلامية بإفريقيا الغربية** ما لدينا من المعلومات عن الملوك الأولين من الأسرة السيفية مجرد أساطير فالفرع الرئيسي من أسرة سيف الأولى انقرض بموت من يسمى" سلمعة" ثم انتقل الحكم إلى فرع آخر من الأسرة السيفية، وربما يكون مؤسس هذه الأسرة الحاكم الجديدة هو حمي جلمةHoume Jilme الذي حكم في الفترة(1085-1097)م الذي اعتنق الإسلام، ثم تولى بعد ابنه دونمة دوبلمة(1098-1150)م، ثم خلفه ابنه برى الأول(1150-1176) ثم تولى بكوروا بن برى(1176-1193)م، ثم خلفه عبدالجليل(1193-1210)م، ومن بعد عبدالجليل تولى الحكم العديد من السلاطين: السلطان دونمة (روناما)بن سلمة- السلطان قاسم بري بن دونمة- السلطان ابراهيم نكلة بن بري- السلطان عبدالله بن قضاى... وغيرهم، وصولا إلى آخر سلاطينهم عبدالله بن دونمة.

وقد دخلت مملكة الكانم فترة التوسع والقوة في أيام السلطان عبدالجليل سيما الذي قام بفتوحات متوالية، وفي فترة حكم أبنه روناما الأول(1221-1259)م أمتد نفوذه إلى منطقة فزان في الجمهورية الليبية حاليا، بعدها دخلت المملكة في اضطرابات نتيجة التنافس على الحكم بين أفراد الأسرة المالكة ومناوئيهم من القبائل، وابتداء من حكم السلطان علي روناما في عام1472م استقرت أوضاعها من جديدة إلى غاية حكم أبنه ادريس(1504-1526)م[1].

وفي منتصف القرن16م سقطت مملكة الكانم، ومنذ ذلك الحين أصبحت جزء من مملكة البورنو، وهذه الأخيرة بدأت في الازدهار والتطوير في حين كانت سنغاي في السقوط من منزلتها الإمبراطورية[2].

ب- **مملكة الكانم- البورنو(1507-1879)م:**

يعتبر القرن16م أزهى العصور في تاريخ مملكة الكانم- البورنو ولا سيما أيام حكم **السلطان ماري إدريس علومة**(1571-1603)م الذي قام بعد توليه الحكم بتنظيم الجيش وتسليحه بالأسلحة النارية وقام بإخضاع

(1) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص ص24-25.
(2) عبد الرحمن زكي، المرجع السابق،ص181.

القبائل الثائرة في البلاد منها: قبائل السو، والطوارق في الشمال الغربي، ومنطقة اير(أهير)، ضف إلى ذلك قبائل وثنية في الشرق والغرب للمملكة خلال السنوات الأثني عشر(12)، وشجع السلطان ماري إدريس الأهالي على الزراعة لكي لا تصيبهم المجاعة التي هددت بلادهم عدة سنين، كانت المجاعة قد ضربت مملكة الكانم على ايام السلطان عبدالله بن دونمة1564-1570م، وارغمهم على استعمال المكاييل والموازين المعترف بها[1].

ثم خلفه أبنه مُحَمَّد بن إدريس (1603- إلى تقريبا1619م)م، ثم تولى الحكم اخوه إبراهيم، ومن بعده أخوهم الحاج عمر وقد اتصفت فترة حكمهم بالأمن والهدوء، ثم اعتلى العرش السلطان على بن الحاج عمر(1645-1684)م، ثم خلفه خلفاء منهم: إدريس بن علي ، ثم دونمة بن علي، وبعده الحاج حمدون بن دونمة الذي توفى عام1738م، ثم جاء بعده دونمة بن الحاج حمدون وخلال حكمه تفشت المجاعة في البلاد، ثم السلطان علي بن الحاج الذي اتصف بالعدل وقرب إليه العلماء، ثم تولى بعده أحمد بن علي.

وبداية من القرن19م عجزت إمبراطورية البورنو عن صد هجومات قبائل الفلاني وتمكنوا من إخضاع أقاليم الهوسا التابعة للبورنو[2]، وما ميز تاريخ مملكة الكانم بورنو عن بقية الممالك الإسلامية الأخرى في إفريقيا الغربية باستمراريتها حتى نهاية القرن19م حينما احتلها الفرنسيون[3].

(1) نفسه، ص ص(185-187).

(2) نفسه، ص ص189-190.

(3) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص ص24-25.

المحاضرة السابعة

1- ممالك السودان الشرقي.

1-1- مملكة الفونج(1505- 1820)م.

1-2- مملكة الفور*(1637-1875)م.

1-3- مملكة تقلى(1570- إلى أواخر القرن19م)م.

المحاضرة

3- ممالك السودان الشرقي :

3-1- مملكة الفونج(1505- 1820)م: قامت سلطنة الفونج العربية في السودان الشرقي سنة1504م واتخذت من سنار عاصمة لها، وشملت جميع أنحاء السودان ماعدا دارفور وكردفان والنوبة الشمالية، وفي عهد الفونج الذي استمر إلى عام1820م انفتح السودان أمام تدفق القبائل العربية[1] ، وأما نظام حكمها فتمثل فيما يلي: **السلطان:** يختار عادة من بين أبناء السلطان أو أخواته أو أعمامه بواسطة مجلس من كبار رجال الدولة، وإلى جانب السلطان رجال الدين وأصحاب الطرق الصوفية، و**معاونو السلطان:** ويلي السلطان الوزير ويلقب بـ(سيد القوم)، ولما ضعف حكم السلاطين أصبحت السلطة في يد هؤلاء الوزراء و**المشيخات المحلية:** كانت سلطة السلطان المباشرة محصورة في حدود قطاعه، أما المشيخات الداخلة في حلفه؛ فلم يتدخل السلطان في تصريف شؤونها الداخلية ويكتفي بزعامته الرمزية عليها ويتحصل على نصيب من الضرائب والزكاة من التجارة المارة في المحطات الهامة، ومن أهم المشيخات التابعة لدولة الفونج نجد: مشيخة العابدلاب، ومشيخة خشم البحر، ومشيخة الحلانقة، ومشيخة السنابلة[2].

وحكمت مملكة الفونج معظم السودان الشمالي، ولعبت دورا في نشر الإسلام[3] وانتشرت الثقافة ودخلت وانتشرت الطرق الصوفية في عهدهم[4]، وقضت على جميع مظاهر النصرانية وسدت الطريق في وجهه وفتحت

(1) مصطفى عبد التواب، **ملحمة الجنوب قصة الديمقراطية في السودان إبان ثورة مارس افريل 1985**، مطابع الأخبار، 1987، ص14.

(2) شوقي الجمل، **تاريخ سودان وادي النيل، حضارته وعلاقاته من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر**، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة،2008، ص ص(292-294).

(3) خوجلي أحمد صديق، **نظم الحكم في السودان(1860-1885)م**، إشراف، إبراهيم نجيب مُحَّد عوض، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى،1987، ص01.

(4) محمود شاكر، **السودان**، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، 1981 ، ص14.

أبوابها للعلماء وشجعت العلم[1]. ومع بداية القرن19م ضعفت مملكة الفونج وكثرت الحروب والنزاعات بين مختلف قبائلها، كما دخلت في حروب مع مملكة الفور أضعفت قوتها مما سهل لجيوش مُحَمَّد علي الاستيلاء عليها في عام1820م[2].

3-2- مملكة الفور*(1637-1875)م: أو سلطنة الفور وعاصمتها الفاشر[3]، قامت في الجهة الغربية من السودان أين تسكن القبائل الفور الزنجية[4]، وامتد سلطانها إلى بحر الغزال ودخلت في علاقات مع الدولة العثمانية

(1) الخضر عبد الرحيم أحمد، **النشاط الكنسي في السودان"أساليبه ومقاصده وطرق مواجهته"**، إشراف، الشيخ مُحَمَّد قطب إبراهيم، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، فرع العقيدة، جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية، ص8.

(1) مكي شبيكة، **السودان عبر القرون**، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص ص9-10.

(2) مصطفى عبد التواب، المرجع السابق، ص14.

***الفور**: هي واحدة من أكبر القبائل، وأكبر المجموعة العرقية استقرت في دارفور.

مملكة الفور أو دارفور: في الحقيقة لقد تضاربت الآراء حول الزمن الذي قامت فيه هذه المملكة، وفي هذا الصدد هناك أربع روايات: **فالرواية الأولى**: تقول بان سلطنة دارفور قامت عام1445م، **والرواية الثانية**، تجعل قيام هذه السلطنة في عام 1596م، أما **الرواية الثالثة** في سنة1610م، وتخبرنا **الرواية = = =الرابعة** بأنها في1645م، وكل الروايات الأربعة تتفق على أن سليمان سولونج هو مؤسس السلطنة. للمزيد أنظر: رجب مُحَمَّد عبد الحليم، **العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت، ص ص244- 245.. وأنظر أيضا:

Hamdy À Hassan , «**Dimensions of the Darfur crisis and its consequences**: **An Arab perspective**», African Security Review, Routledge, London,2010,p.22.

وأيضا أنظر:

Marc Laverne, « **Darfour**: **un modèle pour les guerres du XXe siècle athée et entre les janjawids et les puissances émergentes de flibustiers La** Distribution électronique Cairn.info pour **mondialisation?** "»,2009/3 N N°134, .Editions Karthala.2009.p.24

(3) أمل عجيل، المرجع السابق، ص60.

(4) خوجلي أحمد صديق، المرجع السابق، ص01.

في القرن19م وخضعت لها[1]، وانتهى حكمها في عهد الخديوي إسماعيل في عام1874م على يد الزبير باشا[2].

واستعان مؤسس المملكة سليمان سولونج* بالقبائل العربية في إخضاع السلاطين والملوك الخارجين عن ملكه في جبال مرة* وما جاورها، وبعدها تفرغ لبناء مملكته على أسس ودعائم إسلامية في مختلف نواحي الحياة؛ فبنى المساجد واستقدام الفقهاء من الشرق لتعليم الناس أصول دينهم، وهنا برز دور العرب يلعبون في تاريخ بلاده[3]، وقاوم الفور في منطقة جبال مرة ممثلي السلطات العثمانية المتعاقبة[4] ولكنهم فشلوا، وفي النهاية استطاع علي دينار بن زكرياء بن السلطان مُحَمَّد الفضل في عام1900م من إخضاعها بعد واقعة أم درمان وكتب علي دينار إلى السردار بالطاعة وخضوعه لحكومة السودان التي اعترفت به رسميا سلطانا على دارفور على أن يدفع جزية للحكومة، واستمر حكمه إلى غاية1916م.

3-3- مملكة تقلى(1570- إلى أواخر القرن19م)م: أما سلطنة تقلى فتقع بين السلطنتين السابقتين، أي في غرب النيل الأبيض*، وكانت تضم الأقاليم الجنوبية من كردفان[5] وجبال النوبا(النوبة)*التي تقع جنوب كردفان

(1) يحي جلال، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة، الإسكندرية،1999، ص21.

(2) خوجلي أحمد صديق، المرجع السابق، ص01.

سليمان سولونج*: هو سليمان الأول الملقب بسولونج، ومعناه في لغة الفور- العربي- أو من يتكلم العربية، أو من يدين بالإسلام، و سليمان من أب عربي وأم فوراوية من أسرة تعرف باسم كيرا، ولذلك عرفت الأسرة الحاكمة التي تولت دارفور منذ سليمان سولونج باسم أسرة كيرا. أنظر: رجب مُحَمَّد عبد الحليم، المرجع السابق، ص ص252.

جبال مرة*: يقع وسط دارفور، وهو جبل مرتفع حصين طوله من الشمال إلى الجنوب100ميل، وعرضه من الشرق إلى الغرب نحو60ميلا، وارتفاع أعلى قممه1505قدم، ومن أشهر قممه جبل طره، الذي كان مركز سلاطين الفور قبل انتقالهم إلى الفاشر. أنظر: مُحَمَّد مهري كركوكي، **رحلة مصر و السودان**، مطبعة الهلال بالفجالة، القاهرة، 1914 ، ص ص355.

(3) رجب مُحَمَّد عبد الحليم، المرجع السابق، ص255.

(4) ديدار فوزي روسانو، **السودان إلى أين..؟**، ترجمة، مراد خلاف، المنشورات الإلكترونية للكتب العربية، ب.ت، ص102.

(5) يحي جلال، المرجع السابق، ص23.

النيل الأبيض*: نهر مرتفع الضفاف، وطوله من ملتقى السوباط ببحر الجبل إلى الخرطوم 848كم.

جبال النوبا(النوبة)*: وهي الحد الغربي لحوض النيل الأبيض، والحد الشمالي لمنخفض الغزال، وأعلى قممها جبال تاودي1075م، وهيبان1398م، وأم غزيه1480م، وجبال النوبا تتركب من صخور الجرانيت، والميكا، والنايس...وغيرها من الصخور المتحولة. أنظر: مُحَمَّد عوض مُحَمَّد، **نهر النيل**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1914.

ودارفور، وقد نشأت نتيجة دخول الفقيه مُحَمَّد الجعلي إلى هذه المنطقة مع مجموعة من الفقهاء للدعوة للإسلام في أوائل القرن16م واستطاع أن يتزوج من أميرة من البيت الحاكم فانتقل الحكم إلى ابنه المسمى قيلي أبو جريدة والذي أسس أول أسرة إسلامية حاكمة في تقلى وجبال النوبة وكان هو أول سلاطينها[1].

(1) رجب مُحَمَّد عبد الحليم، المرجع السابق، ص251.

المحاضرة الثامنة

1- انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء:

تمهيد:

1-1- مراحل انتشار الإسلام في غرب إفريقيا.

1- المرحلة الأولى(641-1050)م.

2- المرحلة الثانية(1050-1750)م.

2-1- المراكز الثقافية في غرب إفريقيا.

1- تمبكتو أو(تنبكت)أو(تمبوكتو.)

أ- مساجد مدينة تمبكتو.

المحاضرة:

1- انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء:

تمهيد: تُعد القارة الإفريقية الأكبر من حيث تركز المسلمين بها، إذ قُدرت نسبة المسلمين إلى إجمالي عدد السكان بما يقرب من النصف، حيث قدر عدد المسلمين بها عام1931م بنحو40مليون نسمة، ثم تزايد عددهم بنحو85-90مليون نسمة في عام1951م وتلك الزيادة المطردة من الواضح أنها تزيد عن معدل النمو الطبيعي2.5%، حيث تصل نسبتها إلى6.87% سنويا في المتوسط . أما التوزيع الجغرافي للمسلمين في القرة فمركز ثقل الإسلام يوجد في شمال القارة وغربها وليس في شرقها على الرغم من أن الأخيرة قرب للأرض المقدسة في الجزيرة العربية حيث نشأ الإسلام، وكان من المنطقي أن يكون الإسلام في شرق القارة أكثر انتشارا نظرا إلى القرب النسبي وللعلاقات التجاري الأقدم، وتركز الإسلام في شرق إفريقيا في الصومال وزنزبار(تنزانيا حاليا)، وفي المنطقة الساحلية لشرق إفريقيا، وقد وقف في طريق انتشاره من ناحية وجود إثيوبيا، والتي يُنظر إليها بوصفها جزيرة مسيحية، وهذا ما دفع بالبرتغاليين الأوائل للدوران حول إفريقيا للوصول إلى تلك المملكة المسيحية، ومن جهة أخرى، فإن منطقة شرق إفريقيا صعبة جغرافيا ليست مفتوحة، فهي مناطق جبلية، فضلا عن خضوع المناطق الساحلية في شرق إفريقيا لسيطرة سلطان عمان، ثم النفوذ المصري من جهة أخرى، وقد أسهم ذلك في إثارة المخاوف من خطر التسلط العربي، وهو الأمر الذي كرسته فيما بعد القوى الاستعمارية في محاولة لأتباع سياستها" فرق تسد" في محاولة لإضعاف النفوذ الإسلامي، أما منطقة غرب إفريقيا فقد انتشر بها الإسلام وبخاصة السودان

الغربي وتركز بها، فقامت هناك الممالك والإمبراطوريات الإسلامية، ولم تقف الصحراء حاجزا يحول دون انتشار الإسلام[1].

1-1- مراحل انتشار الإسلام في غرب إفريقيا: كان انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء أول تصال حضاري خارجي للقارة الإفريقية[2]، وقد مر انتشاره في إفريقيا الغربية بثلاث مراحل وهي:

1- المرحلة الأولى(641-1050)م: بداية دخول الاسلام في افريقيا مرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الفتوحات الاسلامية في مصر وشمال افريقيا والاندلس؛ وعليه فالمرحلة الاولى من انتشار الاسلام تبدأ في عام641م تاريخ وصول الفتوحات الاسلامية إلى مصر، وتنتهي تلك المرحلة في عام1050م بانسياب الاسلام وتسربه إلى أن وصل مرتفعات الفوتاجالون" بلاد التكرور"[3].

وكان انتشار الاسلام في غرب إفريقيا منذ بداية القرن7م، بعد دخوله مصر، وكانت التجارة الصحراوية في ايدي التجار المسلمين، وتتحدث المصادر العربية عن مسلمين في غرب افريقيا واعتناق الملوك للإسلام، وأول هذه المصادر كتاب ابي عبيد الله البكري في كتابة المسالك والممالك أن وجود الاسلام قد سبق اعتناق الملوك له في القرن11م بمدة طويلة، ويقول أنه رغم:(**أن ملوك غانا لم يكونوا من المسلمين فإن وزراء الملك وكتابه من المسلمين، ووصف عاصمة مملكة غانا أنها مدينتان احداهما للمسلمين واخرى جامعة وأن بها12مسجدا**).[4].

(1) حورية توفيق مجاهد،" **تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا... الأبعاد والوسائل**"، مجلة قراءات إفريقية، العدد06، سبتمبر2010، الرياض، ص15.

(2) أحمد إبراهيم دياب، المرجع السابق، ص41.

(3) نفسه، ص47.

(4) أحمد إبراهيم دياب، المرجع السابق، ص48.

أما في شرق إفريقيا فقد كان العرب يقومون بالتجارة قبل ظهور الإسلام، ومنذ النصف الثاني من القرن1م ازدادت هذه التجارة بعد ظهور الإسلام ازديادا كبيرا، وتأسيس عديد من المن على الساحل امتدادا من الصومال شمالا إلى سُفالة بمزومبيق جنوبا، ولم يتوغل العرب في دواخل شرق إفريقيا بل أقاموا في الموانئ والمدن الساحلية[1].

2- المرحلة الثانية(1050-1750)م: انتشر الإسلام في الممالك منها: مملكة غانا ومملكة مالي الاسلامية، وامبراطورية سنغاي، امبراطورية البونو والكانم. والشئ الذي لا شك فيه أن الكثير من سكان إمبراطورية أو دولة غانا قد اعتنقوا الاسلام قبل القرن11م وأنه بعد الفتح المرابطين لمدينة كومبي صالح عاصمة غانا أصبحت الحكومة إسلامية، ويقال أن الملك تنكامنين السوننكي قد اعتنق الإسلام عند دخول المرابطين وخضع لسلطانهم ودفع لهم الجزية وكان اسلامه دافعا لإسلام المواطنين السوننكيين وغيرهم[2].

وشهد القرن11م ميلاد دولة في اقصى الغرب في شرقي بحيرة تشاد وهي دولة كانم أو بلاد البرنو، وتدلنا المصادر بأن أول من اعتنق الاسلام من ملوك البرنو- كانم كان يدعى **مي امي عبدالجليل**، ويعتقد أن دخول الإسلام لمنطقة شرق بحيرة تشاد قد جاء عن طريق الشمال من جهة مصر وجنوب ليبيا الحالية عبر الصحراء، ويستبعد دخوله من وادي النيل أو حوضه لأن الممالك المسيحية السودانية" المقرة و علوة" كانت تكون شبه حاجز.

وأن انتشار الاسلام في السودان الغربي والاوسط قد بدأ بصورة واضحة بعد القرن11م؛ فالإمبراطورية التي خلفت امبراطورية غانا في السيادة في غربي إفريقيا هي إمبراطورية مالي الاسلامية، فقد تمسك أهلها بالإسلام، وركزوا الاسلام في جميع المناطق التي حكموها واشتهر من فروع الماندنجو في الدعوة الاسلامية بصفة خاصة الديولاDyula والسوننكSonink.[3].

(1) حورية توفيق مجاهد، المرجع السابق، ص19.
(2) نفسه، ص ص51-52.
(3) أحمد إبراهيم دياب، المرجع السابق، ص ص53-54.

أما في شرق إفريقيا فقد تميزت هذه المرحلة بتدعيم السلطان سعيد لحكمه بعد أن تولى سلطنة مسقط عام608م، اتجه إلى شرق إفريقيا بغرض إقامة نظام سياسي واقتصادي فيها، واستطاع بالسياسة والقوة أن يُخضع ساحل شرق إفريقيا وكان يعين حاكما على كل مدينة مهمة مع إمدادهم ببعض جنوده. ومضي الوقت انتشر الإسلام في كل من منطقة زنجبار الت أصبحت أكبر ميناء في ساحل شرق إفريقيا، وفي أوغندا التي انتشر فيها الإسلام بواسطة التجار وأيضا الضباط والجنود الذين أرسلهم الخديوي إسماعيل لاكتشاف منابع أعالي النيل ومنابعه[1].

1- المراكز الثقافية في غرب إفريقيا: إن الوثائق الإفريقية، والعربية تتيح لنا فرصة الحصول على معلومات كافية عن المراكز الثقافية، التي شعت منها الثقافة العربية إبان العصور الوسطى، والحديثة[2]، إذ ازدهرت هذ المراكز الثقافية و نشطت الحركة العلمية في مالي ثم في عهد سنغاي ازدهارا كبيرا حينما استقدم سلاطينها عدد كبير من العلماء لاسيما من مصر والمغرب والجزائر[3]، وكان في مقدمة هذه المراكز " تمبكتو"، التي كثرت فيها المساجد، والمدارس، وبعض هذه المساجد كانت مقرا للتعليم إذ تعقد فيها حلقات لهذه الغاية. وإلى جانب كل مسجد هناك غرفة أو غرفتان لتعليم الأولاد[4]. والمراكز الثقافية في إفريقيا جنوب الصحراء ونأخذ على سبيل المثال لا الحصر المركز الثقافي تمبكتو ندرس تطوره الثقافي خلال القرن10هـ/16م يعني في أوج ازدهاره وتطوره الثقافي، ثم نتطرق للعلاقات الثقافية بينه وبين المراكز الثقافية الموجودة في شمال إفريقيا، ومصر والحجاز.

(1) حورية توفيق مجاهد، المرجع السابق، ص ص20-21.

(2) نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية**، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ص159.

(3) أحمد إبراهيم دياب، المرجع السابق، ص54.

(4) نعيم قداح، المرجع السابق، ص159.

1-1- تمبكتو أو(تنبكت)أو(تمبوكتو) : المدينة الخالدة[1] ، التي حملت أسماء عديدة منها:" **المدينة العجيبة**"، و"**المدينة الأسطوريةِ**"[2] هذه الأسماء ألحقت بها أيام بدأ الاستكشاف الجغرافي الغربي لها في القرن19م، وهؤلاء الأوربيون تحدثوا عنها وأعطوها صورة بالغة الجمال وافرة الثروة بسبب تجارتها[3].

وهناك أسماء أخرى أطلقت عليها منها: " **جوهرة الصحراء** "،و" **مدينة الإشعاع الثقافي** "[4] ، وغيرها من الأسماء الأخرى، التي عكست حضارتها على مدى ثلاثة قرون.

هذه المدينة اختلفت عن المدن الأخرى؛ فقد كان لنشأتها الإسلامية الأثر الكبير الواضح فيها، وفي البلاد التي حولها متأثرة بها، ومؤثرة فيها، وقد وصفها أبنها المؤرخ عبدالرحمن السعدي بقوله :"**هذه البلدة الطيبة الطاهرة الزكية الفاخرة، التي ما دنستها عبادة الأوثان، ولا سجد على آدميها قط لغير الرحمن...**"[5]. برزت هذه المدينة كمدينة تجارية تضم البائع، والشاري، وسرعان ما أصبحت مركزا ثقافيا يؤمها المعلم، والمريد، وبالتالي لعبت المدينة الدورين التجاري والثقافي؛ فالدور الأول لعبته منذ نشأتها إذ أنها تقع على ملتقى القوافل البرية عبر الصحراء، والقوافل النهرية التي تسير بنهر النيجر، غير أنها بلغت ذروة ازدهارها الاقتصادي في القرن 10هـ/16م،الذي عرف بالعصر الذهبي لتلك المدينة.

أما الدور الثاني، وهذا الذي سنركز عليه دراستنا، فقد أصبحت مدينة تنبكت حاضرة للثقافة الإسلامية، ومركز إشعاع في الميدان الديني في السودان الغربي، بل في غرب إفريقيا كلها، بما لها من نشأة دينية حينما أسست على الدين الحنيف، ونشأت عليه معارفها وعقيدتها، بل وتعددت مختلف أنواع الحياة بها، وقد بلغت المدينة عنفوان

(1) علي مُحَمَّد عبد اللطيف، **تمبكتو أسطورة التاريخ**، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية بنغازي،2001. ص6.

(6) Dubois Felix, **Tombouctou la Mystérieuse** , la Brnieie Elammarion, paris , 1897. p.247.

(3) علي مُحَمَّد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص6.

(4) نفسه.

(5) عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن ناصر السعدي، **تاريخ السودان**، تحقيق، هوداس و بنوة، باريس1964، ص21.

مجدها وعظمتها في القرن10هـ/16م أذ أصبحت عمقا حضاريا متميزا[1]، وتحولت إلى منارة علم ومصدر إشعاع ديني عظيم وهام في غرب إفريقيا [2]، إذ أضحت مرفأ لعدة قوافل صحراوية، أتيت من الشمال حاملين لعدة بضائع وأفكار من المتوسط، وبهذا تحولت إلى مكان التقاء العرب- البربر من شمال إفريقيا- والسود من السودان، وبالتالي حققت شروط لتطور ثقافي على السلم الإفريقي[3]، وقد استمر شأن تنبكت في التعاظم طيلة القرنيين14م و15م، وفي نهاية القرن الأخير بدأت تضعف بعد أن غزا سلاطين المغرب الأقصى السودان الغربي[4].

أ- مساجد مدينة تمبكتو: في مدينة تبمكتو مساجد كثيرة منها المسجد الكبير*، وسنكري وسيدي يحيى، إذ أصبحت بمثابة جامعات ومعاهد تعليمية كبرى، ومراكز ثقافية وتربوية[5]، وحققت هذه المساجد أهدافها التعليمية

(1) عبد الحميد جنيدي، **مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن10هـ/16م**، إشراف، عبد القادر زبادية و خالد صابر الشريف، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة(جامعة ابو القاسم سعد الله)، الجزائر02، مارس2010، ص ص5-6.

4) (Sékéné,(M,C),"**La vocation Culturelle de Tombouctou à L'unité du Monde Africain**", in Revue La Culture Africaine,21juillét-1 aout 1969. p.220.

5) (Spencer,(Trimingham), **History of Islam in West Africa**, oxford university press, ,n.d. .p.98.

(4) عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591)م**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ص100.

المسجد الكبير*: والمسمى عند أهل تنبكت " بجنكر بير" أو " جنجر بير" ومعناه المسجد الكبير، وهو أول مسجد بنى في مدينة تنبكت، بناه السلطان مملكة مالي منسى موسى في عام 726هـ/1327م، ثم اعيد بناؤه وتوسيعه في عهد أسكيا داوود، في عهد إمبراطورية سنغاي، في عام1570م، وقد حبس أسكيا الحاج مُحَمَّد الكبير تابوتا فيه 60 جزءا من المصحف على ذلك الجامع. ينظر للمزيد: مولاي أحمد بابير الأرواني، **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية** تحقيق الهادي المبروك الدالي، الطبعة الأولى، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي 2001، ص71. و أيضا: عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق، ص5 وأيضا: أبي عبد الله الطالب مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، **فتح الشكور في معرفة علماء التكرور**، تحقيق مُحَمَّد إبراهيم الكتاني، ومُحَمَّد حجي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي بيروت،1981، ص96. وينظر أيضا: عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص58.

(5) الموسوعة العربية، المجلد السادس، الطبعة الأولى، الجمهورية العربية السورية، سوريا، 2002، ص 853.

التعليمية والثقافية، والتربوية، وتخرج منها القضاة، والعلماء والأدباء[1] فكانت أماكن للتدريس وكان من أشهرها وأكثرها اكتظاظا بمجموع الطلبة والمدرسين خلال القرن10هـ /16م جامع سنكري[2]، إذ بلغ عدد الطلبة حوالي 10.000 إلى 15.000 طالب من مختلف الأعراق، وليس بينهم تميز، ولا بمعيار[3]. ونجد الرحالة الفرنسي رينيه كاليه يحصي خمسة مساجد أخرى، لكنها صغيرة[4]، أما الرحالة الألماني بارث، أكد على وجود ثلاثة مساجد أخرى، باستثناء مسجد الكبير- مسجد سنكري- مسجد سيدي يحيى، وهم جامع سيدي حاج مُحَمَّد، وجامع مسعد بلال وجامع سيدي بامي (البامي)[5]، ومنه يلاحظ أن بارث أضاف أسماء ثلاث مساجد أخرى، لم يرد ذكرها، وربما أنها بنيت خلال القرون اللاحقة (17م- 18م-19م).

والثابت تاريخيا أن العلماء والعاملين للخير تنافسوا على بناء المساجد، وكانت الأموال التي تصرف على تلك المساجد، وصيانتها وترميمها في مدينة تنبكت، منهم: القاضي العاقب بن محمود بن عمرأقيت أنفق في ترميم المساجد الثلاث مالا يعرف نهايته إلا الله تعالى، إذ كان ينفق يوميا سبعا وستين(67) مثقالا إلا ثلثا، وقد نافسه في الإنفاق الحاج الأمين[6]. وهناك صورة أخرى في الإنفاق على المساجد إذ يذكر المؤرخ محمود كعت، أن أسكا الفع بكر أرسل27 نفسا إلى إمام المسجد الكبير وأمره أن يستعملهم في خدمة المسجد، والنسوة منهم تنسجن

(1) أبوبكر إسماعيل مُحَمَّد ميقا، "**تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي(من القرن الرابع الهجري الى مطلع القرن الثالث عشر)** "، مجلة الدارة، العدد الثاني، الرياض،1993، ص224.

(2)عبدالقادر زبادية،"**ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر**"، المجلة التاريخية المغربية،1976، العدد7-8، ديسمبر، ص34.

5( ) Sékéné,(M-C), « La vocation… »Revue la Culture Africaine ,p.221.

(6) Caillié,(R), **Journal d'un voyage a Temboctou et à jenné dans l'Afrique Centrles**, tome2,éditione anthraopos, paris,p340.

(7) Barth,(H),**Travels and Discoveries in North and Central** , vol 3 .5London,1859.p.32

(6) محمود كعت، المصدر السابق، ص122 .

حصر المسجد وفرشه، والرجال يحمل بعضهم الطين له ويقطع له الخشب، ثم بعث مرة أخرى 27نفسا، وقال لرسوله، اذهب بهم إلى الإمام أيضا، وقل له هؤلاء صدقة مني[1]. ومسجد سنكري الواقع في الشمال الشرقي من مدينة تمبكتو[2]، بنته امرأة ذات مال كثير في فعل البر، ولا يعرف تاريخ بنائه[3]، ويعتبر سنكري بمثابة جامعة إسلامية كبرى على غرار القرويين بفاس، والزيتونة بتونس والأزهر بمصر، ومساجد تلمسان، وبجاية، وقسنطينة، وعنابة تصدى للإقراء والوعظ والإرشاد، ودرس بها مختلف العلوم[4]، وأضحى واحد من أكبر مراكز المعرفة، وملجأ وملجأ للشعراء، والباحثين الموريين الذين فروا من الأندلس حاملين معهم الثروات الثقافية الغرناطية، والقرطبية، ويحتمل أن تنبكت اكتسبت ميزاتها المعمارية بعدما استقبلت هذه الهجرة[5].

ومسجد سيدي يحي ويقع في وسط المدينة[6]، وهو أول جامع بنى في مدينة تنبكت على يد سلطان مغشرن الطارقي في القرن 5هـ/11م، بنى هذا المسجد ليصلوا فيه الجمعة، والصلوات، وبعد انقراض دولتهم اندرس المسجد وخرب ولم يبق إلا موضعه، ثم جدده الشيخ مُحَمَّد نض وبناءه على أحسن ما كان عليه ثم أعاد بناءه، وتوسيعه القاضي العاقب بن القاضي محمود عام 976هـ/1568م[7] .

وعند دراسة بقايا الآثار الإسلامية في تنبكت وغيرها، يكشف لنا عن وجود أسلوب سوداني في العمارة، متأثرا بالطراز الإسلامي، وهو أسلوب عمراني يمتاز بقلة النقوش داخل المسجد لكنه احتفظ بالتزيين، وبالخطوط

(1) محمود كعت، المصدر السابق، ص106.

(2) جاك ووديس، **جذور الثورة الإفريقية**، ترجمة وتعليق، أحمد فؤاد بلبع، راجع الترجمة، عبدالملك عودة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،1971، ص563.

(3) عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 62 .

(4) يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى القرن 20م** ، دارهومة، الجزائر،2001 ص 195 . 195

(6 John,(M),op.cit.p.177)

(6) جاك ووديس، المرجع السابق، ص563.

(7) مولاي أحمد بابير الأرواني، المصدر السابق، ص 72.

الهندسية، والكتابات القرآنية. وظلت المحاريب على طراز بنائها العربي، وكانت المادة الأساسية في الآثار العمرانية الإفريقية من الطين المجفف أو المشوي. واحتفظ الأفارقة باسم المحراب [1].

وما يلاحظ على هذه المساجد أنها بنيت على نفس الطراز الإسلامي المغربي، وتنافس العلماء والصالحين، والمحبين للخير في بناء، وترميم المساجد، وكانت هذه المساجد بمثابة مراكز للتعليم.

المحاضرة التاسعة

1- التعليم في مدينة تمبكتو.

2- الحركة الفكرية بين شمال افريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء.

(1) نعيم قداح، المرجع السابق، ص 145.

المحاضرة

1-التعليم في مدينة تمبكتو:

كانت المدارس تمتاز بظاهرة عامة هي ارتباطها الشديد بالدين ففي أول الأمر كانت المدارس ملحقة بالمساجد، وبازدياد قوة الإسلام وظهور المرابطين في القرن 4هـ /10م ألحقت المدارس بالرباط ، هو المكان الذي يقيم فيه المرابطون للتعبد، وقد قلد الإفريقيون هذا النوع من المدارس، فأصبح إلى جانب كل زاوية من زوايا مدرسة لتعليم الأطفال، على أنه في القرى الصغيرة، التي تخلوا من المساجد كان الأطفال يتلقون تعليمهم بواسطة أحد الدعاة في ساحة صغيرة في الحي[1].

وكان في تنبكت في القرن 10هـ /16م حوالي 180 مدرسة قرآنية، وآلاف من الطلبة القادمين من جميع أنحاء السودان، وكان الأساتذة وبعض الأهالي يستضيفون الطلبة عندهم ولم يكن الأساتذة يتقاضون أجورا ولكنهم كانوا يعيشون مع ذلك في بحبوحة كافية ويتفرغون تماما للدراسة ليلا، ونهارا[2]، وكان يدرس ويتلقى العلم في هذه

(1) عصمت عبداللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (1038-1121)م**، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان،1988، ص167.

(2) تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع، **إفريقيا من القرن 12م إلى القرن 16م**،المشرف على المجلد،ج. ت. نياني،" **الصنغي من القرن 12م إلى القرن16م**"، سينيكي مودي سيسوكو، اليونسكو،1988، ص 220.

المدارس أكثر من 30ألف طالب كانوا يتوافدون على المدينة من مختلف السودان الغربي يوم كان عدد سكان المدينة في أوج ازدهارها[1].

وكان التعليم في تنبكت خلال القرن 10هـ /16م، يقسم إلى ابتدائي، وثانوي، وعال؛ فالتعليم الابتدائي هو المرحلة الأولى الأساسية لكل طلاب، وهذا بالإضافة إلى أن مرحلته هي الوحيدة، التي يبدو أنه كان يراعي فيها إلى حد ما مستوى السن، فكان التلاميذ في السلك الابتدائي لا يتجاوزون في أغلبيتهم مرحلة الصبا، وفي هذه المرحلة الابتدائية كان الآباء هم الذين يقومون أبناءهم إلى معلمي الصبيان، ويجبرونهم على الدوام، كما يراقبون مدى استيعابهم، وكان يدرس للطلاب مواد أساسية كحفظ القرآن الكريم، والصلاة، وتعليم اللغة العربية، ومبادئها، وإتقان الخط . وكانت المدارس تفتح صباحا نحو ثلاث ساعات بعد الظهر، والمساء نحو9 ساعات الأطفال يتوجهون باستمرار، وبالتناوب إلى المدرسة في ساعات مختلفة من اليوم، ومن حفظ القرآن يعتبر قد أنهى دراسته[2].

أما عن طريقة التدريس، فكان الأطفال يلتفون حول مدرسهم، وهو يمثل ناظر المدرسة في الكتاب، ينصتون إليه ليعلمهم القرآن، واللغة العربية، فكان هذا منظرا جميلا لنواة المجتمع العلمي[3]، وقد يصل عدد الصبيان في المدرسة إلى 123 صبيا[4].

وبعد أن ينهي الطالب مرحلة التعليم الابتدائي، يدخل مرحلتا التعليم الثانوي والعالي ولم يكن لهاتين المرحلتين عرف معين في السن، كما أن الفروق بينهما لم تكن واضحة ولعل مرد ذلك إلى أن هاتين المرحلتين كان التعليم فيها حرا بالنسبة لانخراط الطلبة، وهذه المرحلة تمتاز بأن الكتب التي تدرس فيها هي الكتب المبسطة[1].

---

(1) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص101.

(2) عبدالقادر زبادية، المجلة التاريخية المغربية، المرجع السابق، ص ص(32-36). وينظر أيضا:عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص ص5-6.

(2)Dubois,(F).op.cit.p.331.

(3) محمود كعت، المصدرالسابق،ص180.

ولم تكن هذه المرحلة محددة بوقت معين، وفصل أو سنة دراسية معينة، بل كانت تتوقف على استيعاب الطالب لعدد من الكتب منها كتب الحديث، والمنطق، والفقه، والنحو، وهذا يرجع إلى ذكاء ومهارات وقدرات الطالب على التحصيل، والانتهاء منها[2]، و لربما أن الطلبة ينفقون أكثر من ثلاث سنوات في قراءة موطأ مالك، وغيره من كتب المذهب المالكي، والسير، وعلم الحديث[3]، وينهلون من أمهات الكتب وينتقلون من مكان لأخر كلما سمعوا عن عالما، أو فقيها ضليعا في مادة أو علم ما، قد وفد إلى تنبكت وخاصة العلماء الذين يقدون من المغرب، ومصر إلى تنبكت[4].

وإذا تحدثنا عن أوقات الدراسة، كانت ساعات التدريس تستغرق النهار كله، ولا تتوقف إلا في أوقات الصلاة وكان بعض الأساتذة يدرسون حتى في جزء من الليل، وكان الطلبة يجتمعون حول الأستاذ، الذي يشرح النصوص ويناقشها معهم[5].

ولنا الحديث عن الأساتذة، فاللين، والتواضع هم من شيم أولئك الأساتذة اللامعين بتنبكت في تلك الفترة، وكان صبر الأستاذ على تفهيم طلبته يعتبره الناس من صفات الأساتذة الناجحين في مهنتهم، وملتزمين جدا لواجباتهم. وكانت الطريقة الشائعة في الدرس هي أن يبدأ الأستاذ بإملاء رأيه في المسائل على طلبته، وبعدها يقرا الطلاب درسهم من الكتاب المقرر بحضور الأستاذ، ثم توضيح ما يُشكل عليهم وأثناء ذلك يقيد الطلبة التفاسير التي يعطيها الأستاذ كجواب على استفساراتهم[6].

---

(1) عبدالقادر زبادية، المجلة التاريخية المغربية، المرجع السابق، ص32.

(2) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص86.

(3) عصمت عبداللطيف دندش، المرجع السابق، ص166.

(4) عمر بن سالم بابكور، **النهضة العلمية والثقافية في مدينة تمبكت الإسلامية في القرن العاشر الهجري– السادس عشر الميلادي**،الاسكندرية،2002.، ص 35.

(5) عنتا ديوب،" **عملية نشر الإسلام في إفريقيا السوداء، ودور جامعة تومبوكتو**"، كتاب الأصالة، الجزء الثاني،1978، ص 277 .

(6) عبدالقادر زبادية، المجلة التاريخية المغربية، المرجع السابق، ص ص35-36.

أماعن الشهادات المتداولة فكانت تعطى الشهادة الدالة على نجاح الطالب الذي أتم المرحلة التعليمية، التي تؤهله ليصبح بعدها متمكنا من مادته، وأسانيدها، وقد ناقشها معه معلمه، أو أستاذه، وكانت هناك شهادات خاصة تختص بالقرآن الكريم، والحديث أي خاصة بالثقافة الإسلامية البحتة لنشر كلمة الله تعالى[1]، وإلى جانب هذا، هناك شهادات عامة تشمل عدة مواد، أو فنون أو مهارات، وكلتاهما مطلوبة في مدينة تنبكت[2]، وكانت هناك شهادات تعطى فردية بمعنى أن الطالب يستطيع الحصول على شهادة من الأستاذ في المواد التي يتقنها ذلك الأستاذ والتي كان يدرسها لكنه يبقى طالبا في مواد أخرى، وبناءا على هذا فإن الشهادات كانت في شكل انطباع يسجله الأستاذ على مذكرات الطالب في مادة أو أكثر.

وتلك الشهادات كانت تعطى للطلاب عادة في حفل كبيرا، وأحيانا يسلم لهم عمائم دليلا على أنهم أصبحوا من العلماء، وهذه الشهادة العلمية التي يتحصل عليها الطالب تؤهله لأن يعمل بإلقاء الخطب، أو الإمامة، أو بأن يعمل المتخرج كمساعد للقاضي أو نائبا له، أو كاتبا في مصلحة حكومية، أو نسخ الكتب، أو تعليم القراءة، وقد تنتهي بالعمل بالقضاء وتولي مهامه[3].

وكانت مدارس الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا عامة، وفي تنبكت خاصة، أن تكون مدارس مغربية بحتة، فكأننا في فاس، أو أودغست، أو مراكش، أو في القيروان، نفس الأسلوب ونفس الحياة[4]، إذ ازدهرت بالمدينة العلوم التي شملت جميع أمور الحياة بجانب الدين منها القرآن الكريم، والفقه، والحديث، والتفسير، والنحو، والعلوم الفلسفية والرياضيات، والمنطق، وعلم النفس، والهندسة، والفلك، والأدب، والفنون، والطب بجانب العلوم الشرعية

)Dubois,(F),op.cit.p.329.3(

(2) عبدالقادر زبادية، المجلة التاريخية المغربية، المرجع السابق، ص 36.

(3) عمر بن سالم بابكور، المرجع السابق، ص ص28-29.

(4) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص207.

والتراجم والتاريخ، والرحلات، وفن الكتابة[1] إلى درجة أن كتاب (تكملة الديباج) لأحمد بابا التنبكتي يذكر أكثر من مائة شاعر، وقاض، ورياضي، وأديب... وغيرها، كلهم في مدينة تنبكت، أو سكنوها[2].

وقد انتشرت المكتبات التي اقتناها العلماء، والأثرياء في تنبكت، وكانت مفتوحة لاطلاع الطلاب، والراغبين في العلم، واشتهرت تنبكت بعدد كبير من المكتبات المملوكة لعلمائها، وعرف عن هؤلاء أنهم كانوا لا يبخلون بكتبهم على الراغبين في الاستعارة مهما كانت الكتب قيمة، وكانت تدور بالمدينة حركة نسخ نشطة ليحصل عن طريقها بعض الناس على نسخ من الكتب التي يريدونها[3]، وكان الملك أسكيا داوود ملك إمبراطورية صنغي 'سنغاي' يعين أشخاصا من الكتاب الذين يقومون بنسخ المخطوطات، والكتب المطبوعة ليقوم بتوزيعها على العلماء والطلبة مجانا، وكان هو أول من أنشأ مكتبة عامة للمطالعة في هذا الجزء من العالم[4].

ونتيجة لازدهار الحياة العلمية، أقبل الناس في شغف على اقتناء المكتبات الخاصة التي تعج بالكتب العربية، وكثرت المكتبات الخاصة[5]، ولم تكن هذه المكتبات حكرا على أسماء معينة من الأسر بل أن كل أسرة كبيرة في تنبكت تمتلك مكتبة عامرة بأمهات الكتب، والكتب القيمة التي يحفظونها في غرف مغلقة في منازلهم، ومن تلك الأسر، أسرة أبوالعرف، التي تملك الكثير من الكتب، وكذلك من المكتبات الكبيرة المشهورة في تنبكت مكتبة مُحَمَّد محمود بن الشيخ[6].

(1) نور الدين شعباني، **علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وأثارها الحضارية بين القرنين(4-9)هـ،(10-15)**م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية2005-2006م، ص179.

(2) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص195.

(3) أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**،8أجزاء، الجزء6، القاهرة،1998، ص235.

(4) علي مُحَمَّد عبداللطيف، المرجع السابق، ص 102 .

(5)عصمت عبداللطيف دندش، المرجع السابق، ص166 .

(6) عمربن سالم بابكور، المرجع السابق، ص36.

ويقول المؤرخ الفرنسي فليكس ديبوا، أن مكتبات تنبكت شملت تقريبا جميع الكتب، إن لم يكن كلها، فالتمبكتيون مهووسين بجمع الكتب، والمؤلفات النادرة، فهم من عشاق الكتب، وقد وقف ديبوا على إنتاجات، ومؤلفات أدبية من إسبانيا، والمغرب، إلى جانب أعمال من سوريا، وبغداد[1].

إذا نستطيع القول التعليم في مدينة تنبكت عرف مراحل تعليمية، مرحلة الابتدائية ومرحلة التعليم الثانوي والعالي ولكل مرحلة خصوصياتها وميزاتها، ومناهجها لا تختلف عن مناهج المدارس المغاربية، وأن المتخرج يحصل على شهادة، أو إجازة تمكنه من شغل وظيفة، وبالمدينة أيضا عدد من المكتبات العامة والخاصة بها نفائس الكتب والمخطوطات.

ج- الحركة الفكرية بين شمال افريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء: التعليم في إفريقيا الغربية في أول أمره محصور بالأساتذة العرب القادمين من شمال إفريقيا إذ حرص ملوك وسلاطين السودان الغربي حرصا شديدا على استقدام الكثير من العلماء، والفقهاء من مواطن العلم في الحجاز ومصر، والمغرب، ثم بدأ تشجيع الطلاب السودانيين على الرحلة إلى شمال إفريقيا، والحجاز لطلب العلم والوقوف على مراكز العلم، وما ألفه العلماء في تلك المراكز، ومن هنا تكونت طبقة مثقفة من الأفارقة تولت مهمة التعليم، بعد أن تخرجت من المدارس العربية[2].

ومن علماء شمال إفريقيا والحجاز المؤثرون في الحركة الفكرية في إفريقيا جنوب الصحراء نجد: - سيدي مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي، السابق ذكره-، الذي رحل إلى بلاد التكرور وصولا إلى بلاد كاغو واجتمع بسلطانها أسكيا الحاج مُحَمَّد سلطان إمبراطورية سنغاي على عهد الاسقيين، وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألف تأليفا أجابه فيه عن مسائل دينية[3]، يلاحظ هنا أن طرح الأسئلة من طرف السلطان على عالم مثل

.7)Dubois,(F),op.cit.p.321(

(2) نعيم قداح، المرجع السابق، ص160. وللمزيد ينظر: ابو بكر إسماعيل مُحَمَّد ميقا، مجلة الدارة، المرجع السابق، ص ص (222-233) .

(3) ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص254.

المغيلي... يعطينا صورة عن نظرة الأسقيا الكبير للعلماء في وقته[1]، ثم ارتحل المغيلي إلى توات فأدركته المنية بها سنة 909هـ/1503م، أخذ عنه الكثير من العلماء[2].

ومن علماء المغرب نجد: **عبدالرحمن بن علي بن أحمد القصري**:- رحمهم الله- من أشهر علماء المغرب، ثم آب لبلاد السودان ودخل كانو وغيرها، فعظموه وأعطوه مالا جزيلا، ثم رجع إلى فاس سنة 924هـ/ 1518م، فأكب على رواية الحديث وتدريسه، وكان يدرس الموطأ، والكتب السنية، والتفسير... حتى توفى سنة 959هـ/1549م على نحو 86سنة[3]. و**الشيخ مخلوف بن علي صالح البلبالي**:-رحمهم الله-كان رحمه الله- دخل بلاد السودان ...وثم إلى تنبكت ليدرس هناك، وقرأ بها، ثم رجع إلى المغرب فدرس بمراكش توفي بعد 940هـ/1533م[4].

ومن العلماء السودانيين الذين رحلوا في طلب العلم إلى مصر، وفاس، وتلمسان والقيروان، والحرمين... وغيرها من المراكز الإسلامية في المغرب، والمشرق، ثم عادوا إلى بلادهم بعد أن نهلوا من العلوم، والمعارف المزدهرة في تلك البلاد[5]؛ ففي مصر، ولما زاد عدد طلاب بلاد السودان في مصر بالأزهر الشريف أصبح لهم به رواق باسمهم" رواق التكرور"[6]، وأصبحوا علماء عظام، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- **أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد أقيت جد الشيخ أحمد بابا**:- رحمهم الله-كان رحمه الله من أهل الخير، والفضل، والعلم، والدين حافظا على السنة، رحل إلى المشرق في عام 890هـ/ 1485م للحج ولقي السيوطي، والشيخ

(1) مُحَمَّد بن عبدالكريم المغيلي، المصدر السابق، ص18 .

(2) ابن مريم الشريف، المصدر السابق، ص256 .

(3) أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تحقيق علي عمر، مجلدان، المجلد الثاني، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، الفاهرة،2004، ص304.

(4) نفسه، ص290.

(5) أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق، مُحَمَّد مطيع، جزءان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000، الجزء الأول، ص 132.

(6) أحمد إبراهيم دياب، المرجع السابق، ص61.

زين الدين خالدا الأزهر شارح التوضيح، وغيرها. ثم رجع إلى بلاده في زمن فتنة سني عالى(علي)، فجلس للتعليم فأخذ عنه جماعة منهم أخوه الفقيه القاضي محمود بن عمر قرأ عليه المدونة، وغيرها[1]، وكان قاضيا في تنبكت وعلى أهل ولاتن(ولاتة)، توفى- رحمه الله- عام 942هـ/1535م[2].

- مُحَمَّد بن أحمد بن أبي مُحَمَّد التازختي:- رحمهم الله- كان فقيها عالما علامة محققا، قرأ ببلده على يد الحاج أحمد بن عمر، وعلى خاله الفقيه علي، ثم رحل إلى تكدة بها المغيلي وحضر دروسه ثم رحل للشرق فلقي شيخ الإسلام زكرياء القلقشندي، ثم رجع إلى السودان فنزل بلدة كشن[3] (كاتسينا) أستقر بشمال نيجيريا، وحظي بالاستقبال الحار والاحترام وعين قاضيا في الفترة ما بين عامي 1529م/1530م[4]، وتوفى بها في حدود 936هـ/1589م عن عمر60سنة[5].

ومن مؤرخي مدينة تنبكت نجد: المؤرخ محمود كعت*، وهو من علماء تنبكت صحب أسكيا الحاج مُحَمَّد الكبير، وقد شهد15عاما من حكمه[6]، و المؤرخ أحمد بابا التنبكتي** الذي قبض عليه الباشا محمود بن زرقون، بعد

(1) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، الجزء الثاني، ص303 .

(2) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 146.

(3) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، الجزء الثاني، ص 278. ينظر أيضا: البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص146.

(4) عثمان برايما باري، **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دار الأمين للنشر والتوزيع، د.ت، ص26.

(5) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 146.

المؤرخ محمود كعت*:- رحمه الله- هو القاضي محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت، هو أديب سونينكي من تنبكت ، وكان مولده عام 1460م، وهو صاحب كتاب الفتاش، الذي بحث عنه الرحالة الفرنسي فيلكس ديبوا، إلا أنه وجد جزءا منه. هذا الكتاب يلقي الضوء على تاريخ مملكة مالي، وتنبكت، وسنغاي وتنتهي أحداث الكتاب في عام 950هـ/1554م وهناك من يقول أن أحداث الكتاب انتهت عام 1008هـ/1599م، أي بعد وفاة المؤلف بست(6)سنوات(1002هـ/1593م) ويبدو أن احد أحفاده هو الذي أضاف السنوات الست التالية لوفاته[5]. ينظر: محمود كعت، المصدر السابق، ص9. وأيضا: قنسان مونتاي، المرجع السابق، ص157. أيضا: وأيضا: جمال زكريا قاسم، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، دار الفكر العربي، 1999، ص157. وأيضا:Dubois,(F),op.cit.pp.342-343 .

)Dubois,(F),op.cit.pp342-343.6(

الغزو المغربي على السودان الغربي، وكان عمره آنذاك36سنة، وأرسل إلى منفاه في المغرب هو وأسرته، في 1 رمضان 1002هـ/20جوان

1593م،واستقرمع عياله في حكم الثقاف، وأفرج عليه في 21 رمضان 1004هـ/ 19ماي 1595م، بشرط الإقامة في مراكش[1].

أما عن نشاطه في المغرب، فبعد أن أفرج عنه، قعد ليدرس في جامع الشرفاء بمراكش درس مختصر خليل قراءة بحث وتدقيق، ونقل وتوجيه، وكذا تسهيل ابن مالك وألفية الحديث للعراقي، وختمها عشرة مرات، وتحفة الحكام لابن عاصم، وجمع الجوامع للسبكي...،والصحيحين...والشفا والموطأ، والمعجزات الكبرى للسيوطي[2]، وتعلم الخطابة، والقانون، وعلم اللاهوت[3] وقرأ على يديه قاضي الجماعة بفاس العلامة أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني... وكذا قاضي مكناسة[4].

المؤرخ أحمد بابا التنبكتي**: أحمد بابا التنبكتي بن الحاج أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن مُحَمَّد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى بن كدالة بن بكي بن نيق بن لف بن يحيى بن تشت بن تنفربن جبراي بن اكنبر بن أنص بن أبي بكربن عمرالصنهاجي الماسي – رحمهم الله–، ولد ليلة الأحد21 ذي الحجة عام 963هـ – الموافق26أكتوبر1556م،وهو معروف باسم أحمد بابا، ويضيف المؤرخون لاسمه لفظ، الصنهاجي أوالمسوفي، أوالسوداني، أوالماسيني،أو التنبكتي،أوالتكروري، وقد تستخدم ثلاث ألفاظ لاسمه الصنهاجي الماسي أوالتنبكتي أوالتكروري،وقد تستخدم ثلاث ألفاظ لاسمه الصنهاجي الماسي والمسوفي[2].اجتهد في بداية أمره في خدمة العلم حتى فاق جميع معاصريه، ولا يناظره في العلم إلا أشياخه وشهدوا له بالعلم، واشتهر في المغرب... وكان اسم مُحَمَّد– ﷺ– مكتوبا في عضده الأيمن خلقة بخط أبيض،... قرأ على عمه أبي بكر التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والعربية...، وغيرها على شيخه العلامة مُحَمَّد بغيغ، ولازمه أكثر من عشرين سنة، وأخذ الحديث على والده سماعا، والمنطق.... ينظر للمزيد: البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص ص31-32. وأيضا:

Mahmoud A.zouber,**Ahmad BABA de tombouctou** (**1556 –1627**), **sa vie et**, **son œuvre** paris, 1977.p.14

(1)Mahmoud A.zouber, **Ahmad BABA de tombouctou** (**1556 –1627**), **sa vie et**, **son œuvre** paris, 1977.p.14

(2) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص34.

)3(Dubois,(F),op.cit.p.32.7

)4(Mahmoud,(A.Z), op.cit.p4(.(28-31)p

عاد أحمد بابا إلى تنبكت بعد أن سمح له ابن منصور الذهبي مولاي زيدان بن المنصور الذهبي، بالرحيل، عام 1016هـ/1607م، ووصل إلى تنيكت في ذي الحجة 1016هـ الموافق لـ17مارس1607م، ومكث هناك يدرس، ويكتب الفتاوى، وتوفى- رحمه الله- في6شعبان1036هـ الموافق لـ 22افريل1627م، وله أربعون تأليفا[1].

ومن مؤرخي المدينة أيضا، المؤرخ عبد الرحمن السعدي*الذي تلقى العلم في شبابه على يد الفقيه أحمد بابا، كما تلقى العلم على كثيرين غيره من علماء المنطقة نذكر منهم القاضي محمود بن أبي بكر، انتقل السعدي من تنبكت إلى جني للعمل بها، حيث عمل كمحرر للعقود في جني، واستطاع في عام 1036هـ/1627م الحصول على منصب إمامة جامع سنكري، وشغل كاتبا كما أنه يقوم بالأعمال العامة والسفارة والوساطة. وقد شرع في كتابة تاريخ السودان الغربي تاريخ في كتابته تاريخ السودان، وظل السعدي يواصل هذا العمل الهام إلى أن توقف به عند أحداث 5 ذي الحجة1063هـ، الموافق لـ 8 نوفمبر1652م،ولكنه عاد بعد ثلاث سنوات فأضاف أحداثا أخرى، انتهت بتاريخ 16جمادى الأولى1065هـ الموافق لـ12مارس1655م[2].

تمتع العلماء في تنبكت بمكانة مرموقة في المجتمع السوداني، فقد درج ملوك وسلاطين سنغاي على إصدار مراسيم تجعل شخص العالم، وولده، وماله حراما لا يمس بسوء طيلة حياته، وكان لهذا الجو من الطمأنينة الذي وفره

(1) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص36.

المؤرخ عبد الرحمن السعدي*:- رحمه الله- عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعيدي "السعدي"، رحمهم الله- ولد ليلة الأربعاء ليلة عيد الفطر عام1004هـ/1596م، تولى إمامة مسجد سنكري عام 1036هـ/1627م، يقول الباحث أحمد فؤاد بلبع في مقال له بعنوان: "**عبد الرحمن السعدي، عصره وكتابه(تاريخ السودان)** "، و المنشور في المجلة التاريخية المصرية، العدد العشرون، " **يتضح من اسم هذا المؤرخ أنه ليس في أجداده إلا أسماء عربية، ومع ذلك لا يحق لنا أن نستخلص بطريقة قاطعة أنه كان من سلالة عربية خالصة، ففي ذلك العصر جرت عادة المسلمين الذين ترجع أصولهم إلى البربر، أو إلى غيرها، على أن ينسبوا أنفسهم إلى أصل عربي، أو شرف**". ينظر للمزيد: البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص176.

(2) أحمد فؤاد بليغ ،"**عبدالرحمن السعدي، عصره وكتابه(تاريخ السودان)** "، المجلة التاريخية المصرية، العدد العشرون، القاهرة، 1973، ص102.

هؤلاء الحكام لعلماء تنبكت أكبر الأثر في تقدم العلوم، وازدهار الثقافة الإسلامية في جامعة تنبكت[1]، وخير معبر عن ذلك ما كتبه المؤرخ محمود كعت:" **في تلك الزمان لم يكن لتنبكت مثيل بين مدن السودان بمثابة مؤسساتها، وحريتها السياسية، ونقاء تقاليدها، والاطمئنان على النفس، والمال، والرحمة، والشفقة على الفقراء وعابري السبيل، وتلطفا بطلبة العلم وإعانتهم**"[2].

ولكن و رغم انتشار الدين الإسلامي في غرب إفريقيا، وقيام إمبراطوريات إسلامية كبرى بها مثل مالي وسنغاي والبورنو التي ساهمت في نشر الإسلام في أعماق القارة الإفريقية إلا أن الإسلام ظل يعاني من منافسة الوثنيين بل ودخلت عليه الكثير من الشوائب والبدع والخرافات، وظل الحكام الوثنيون هم أصحاب السيطرة والسيادة في قطاعات كثيرة من غرب القارة. وهذا ونتيجة لوجود صحوة إسلامية في المشرق العربي في القرن19م بسبب ظهور حركات الاصلاح والتحدي لم يكن غريبا أن تشهد منطقة غرب إفريقيا أصداء الحركة الاصلاحية، ولهذا كله قامت حركات الدعوة الإسلامية حملت لواء حركة التجديد والإصلاح في غرب إفريقيا في كل من نيجيريا، ومنطقة ماسينا، وبلاد السنغال، ومنطقة جامبيا، وغينيا[3]، وهذا سنحاول مناقشته في العنصر التالي من مراحل انتشار الإسلام في القارة الإفريقية.

(1) ابوبكر إسماعيل مُحَمَّد ميقا، المرجع السابق، ص248.

(2) محمود كعت، المصدر السابق، ص179.

(3)عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل، **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر**،القاهرة،1998، ص ص13-14.

المحاضرة العاشرة

1- المرحلة الثالثة(1750-1850)م.

2- الحركات الاصلاحية الجهادية في غرب إفريقيا.

3-1- حركة الشيخ عثمان بن فوديو* الإصلاحية والجهادية.

3-1-أ- دعوته الاصلاحية.

3-2- ب- جهاد عثمان بن فوديو.

المحاضرة

1- المرحلة الثالثة(1750-1850)م: مع قدوم الاستعمار الأوربي إلى غرب إفريقيا وتفشي الأفكار الوثنية بين مجتمعاتها الإسلامية ظهرت بين النصف الثاني للقرن18م، والنصف الأول للقرن19م حركات إصلاحية وتجديدية، وأخرى جهادية ضد الاستعمار سعت كلها إلى بناء مشروعات للنهضة على أساس الدين الحنيف من خلال محاربة الاستعمار وتنظيف المجتمعات الإسلامية من كل شوائب المعتقدات الإفريقية الغريبة عن الإسلام[1].

2- الحركات الاصلاحية الجهادية في غرب إفريقيا: برزت حركات إصلاحية وجهادية لعبت دورا هاما في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء كان من أبرزها حركة الشيخ عثمان بن فودي، وحركة الحاج عمر الفوتي التكروري، وحركة الإمام ساموري توري، وحركة الشيخ أحمد لوبو[2].

(1) مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، 2007، بيروت، ص187.

(2) نفسه.

2-1- حركة الشيخ عثمان بن فوديو* الإصلاحية والجهادية: تعتبر حركة الشيخ عثمان بن فودي الفولاني الأصل، والتي انطلقت من بلاد الهوسا أحج أهم الحركات التي شهدتها إفريقيا الغربية التي حركت دورة الحياة في الكيان الإسلامي بالعودة إلى منابعة ومحاولة تطبيقه على نواحي الحياة[1]، ولم يمض وقت طويل حتى تحولت هذه الحركة الاجتماعية الإصلاحية إلى حركة ثورية هدفت إلى اقامة الخلافة الإسلامية في بلاد السودان[2].

2-1-أ- دعوته الاصلاحية: إن التكوين الديني للشيخ عثمان جعله يقتنع بضرورة اعتماد منهج إصلاحي قاعدي للمجتمع معتمدا على تعليم المبادئ الإسلامية الصحيحة، حيث بدأ في العشرين من عمره بعقد حلقات التعليم لإحياء السنة وإماتة البدعة ونشر العلوم وتفسير القرآن، وجمع حوله صفوة المثقفين المسلمين محاولا خلق مجتمع مثالي في أوساط الهوسا على شكل المجتمع الإسلامي الأول، ويعتبر في وضعه السياسي مماثلا لمجتمع الأسقيا مُحَمَّد الذي كان قبل ثلاثة قرون هذّب وأصلح أحوال المسلمين في سنغاي.

وفي سنة 1775م بدأ الشيخ عثمان يخبر الناس أن إسلام ملوك الهوسا لم يكن الإسلام الحقيقي، وأنه في حاجة ماسة إلى الإصلاح حتى يمكن إدخال ممالك الهوسا في نهج الخط الإسلامي الصحيح باعتماد منهج دعوي إصلاحي قام على: دعوة الناس إلى ما فرضته الشريعة من أصول وفروع، وإتباع السنة و ترك البدعة، و إخماد

عثمان بن فوديو*: هو عثمان بن مُحَمَّد بن عثمان بن صالح بن هارون بن مُحَمَّد بن جبّ بن مُحَمَّد بن تُنب بن أيوب بن ماسران بن بوب باب بن جكّل الملقب بابن فودي، نسبة إلى الاسم الذي اشتهر به والده فوديو أو فودي (Fodio أو Fodi) التي تعني بالفولانية "المتعلم" ، ولد في بلدة ماراتا (Maratta) في إمارة غوبير (ولاية سوكوتو بنيجيريا حاليا) يوم الأحد15نوفمبر1754م، انتقلت اسرته إلى ديجل(Degel)، حيث حفظ القرآن الكريم، ولما بلغ العشرين(20) من عمره بدأ حلقات التعليم، وسلك طريق القارديين حيث كانت الطريقة القادرية أكثرا انتشارا في غرب إفريقيا.

ينظر للمزيد: مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص188، وأيضا: عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل، المرجع السابق، ص ص134-135.

(1) مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص188.

(2) نفسه، ص192.

البدع الشيطانية المخالفة للشرع، واستخدام أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، وتفسير العلوم بلغة الحاضرين لتسهيل الفهم[1].

وركّز الشيخ عثمان بن فوديو في دعوته على عنصرين: أولهما موضوع المرأة في النموذج الإسلامي والفرق بينه وبين المرأة في النموذج الجاهلي المتخلف داعيا المرأة إلى التحرر من الاستعباد الحقيقي الذي تعيشه في ظل الوضع السائد، وثانيهما استخدام الشعر والموشحات الدينية بالطريقة الشعبية المحببة إلى القلوب في قصائد ذات مضمون أخلاقي وعلمي وإرشادي باللغات المحلية، حيث كانت تنتقل بسرعة من ألسنة الدعاة إلى العامة خاصة أن الثقافة الإفريقية هي ثقافة حفظ لا تسجيل، ولقد اتخذ الشيخ في دعوته من بلدة دجل (Degel) مقرا لدعوته، كما اتخذ أعوانا له من تلاميذه ليساعدوه في دعوته ومنهم أخوه عبد الله[2].

واستمرت مرحلة الدعوة من عام1774م إلى1804م أي حوالي30سنة شكلت مرحلة البناء الأخلاقي والفكري والاجتماعي، وانتهت المرحلة بتأسيس المجموعة الأساسية من الأتباع (الطلبة) بهدف نشر الصورة الجلية للإسلام وفضح علماء السوء الذين كانوا يرون الواقع المنكر فلا يعملون على تغييره بأي شكل من أشكال التغيير المتاحة[3]، وقد تصدى هؤلاء الأتباع المخلصون معه للدعوة البعض بنسخ كتبه ونشرها بين الناس، والبعض بالتنقل في أرجاء السودان الغربي والأوسط لنشر دعوته، ولما تعاظم نشاط الشيخ عثمان وازدياد أتباعه أقلق مضجع أمير جوبير(باوا) الذي حاول اعتراض طريقه لكنه أحس بخطورة الموقف فترك الشيخ وسبيله، وسعى إلى التقرب منه من أجل إسكاته، ووضع حد لانتشار سمعته وأفكاره، أو الحد منها على الأقل، فاستدعاه سنة 1788م بمناسبة عيد الأضحى محاولا إرضاءه بمنحه (500) مثقال ذهب، فرفض الشيخ عثمان وطلب منه

(1) غانم بودان، "**حركة عثمان بن فوديو الإصلاحية في غرب إفريقيا**"، مجلة التراث، العدد24، ديسمبر2016م،جامعة الشيخ زيان عاشور الجلفة، الجزائر، ص ص173-174.

(2) غانم بودان، المرجع السابق، ص ص173-174. وأيضا: مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص190.

(3) مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص190.

عوضا عنها الأمور الخمسة التالية:

- أن يسمح له بالتجول حرّا في الإمارة لدعوة في سبيل الله.

- ألاّ يعترض سبيل أي شخص يستجيب لدعوته.

- أن يُوقّر كل عالم يلبس العمامة.

- أن يطلق سراح المسجونين لقضايا سياسية.

- ألاّ يفرض ضرائب باهضة على الرعية.

فقبل الأمير شروط الشيخ عثمان مرغما نظرا لتزايد أنصاره[1]، وبعد وفاة حاكم غوبير(باوا) 1794م خلفه حاكم آخر يدعى نفاتا (Nafata) أدرك قوة أتباع الشيخ عثمان وأحس بالخطر على ملكه فما كان منه إلا أن أصدر مرسوما للحد من نشاط الشيخ عثمان تضمن ثلاثة أمور:

- عدم السماح لأي شخص باعتناق الإسلام إلا من ورثه عن أجداده.

- عدم السماح لأي بالوعظ إلا للشيخ عثمان.

- لا يسمح لأي أحد بلبس العمامة بعد تاريخ المرسوم، وألا تلبس المرأة الخمار[2].

وأثار هذا المرسوم استياء أنصار الشيخ عثمان، وكان مؤشرا على تغير أسلوب العمل من الدعوة إلى الجهاد، فعارضوه خاصة عبد الله بن فودي الذي أراد مواجهة هذه الإجراءات بالقوة، لكن الشيخ عثمان عارض استخدام القوة لأنه في بداية طريق طويل ولقد تفادى الشيخ عثمان الحكام طيلة نشاطه الدعوي الذي دام ثلاثين(30) سنة لضمان انتشار أفكاره الإصلاحية في أوساط الشعب، وتكوين قاعدة صلبة من المؤمنين بالتغيير والجهاد وقت

(1) غانم بودان، المرجع السابق، ص175.

(2)عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل، المرجع السابق، ص125. وأيضا: غانم بودان، المرجع السابق، ص175.

وجوبه، فقد كان إعلان الزعماء المسلمين الجهاد كفيلا بالتفاف الأتباع حولهم لأنهم رأوا في دعوة الجهاد واجبا للقتال ضد الوثنيين لإجبارهم على اعتناق الإسلام[1].

ومنذ عام1795م بدأ أنصار الشيخ عثمان في التسلح، وقد شعر ملك جوبير نفاته (Nafata) بخطورة الموقف بعد تسلح الشيخ عثمان، ولذلك عمل على التصدي لأتباعه وبعد وفاة نفته خلفه ابنه يونفا (Yunfa) فأستمر في عدائه لعثمان وحاول التخلص منه وقتله ، و أمره بالرحيل من دجل(Degele) فأمر الشيخ عثمان أتباعه بدوره بالهجرة[2]إلى بلدة غودو(Gudu)على بعد48كلم شمال غرب دجل، وكان ذلك في21فيفري1804م وكان الشيخ عثمان قد عقد ميثاقا في دجل قبل رحيله منها مع أتباعه تعهدوا فيه على الجهاد ضد الأعداء، وأصدر الشيخ وثيقة أهل السودان التي صارت إعلانا رسميا للجهاد، وأقرت هذه الوثيقة مبادئ منها: **أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إجماعا، وأن الهجرة من بلاد الكفار واجبة إجماعا، وأن الجهاد واجب إجماعا، وأن قتال البغاة واجب إجماعا**[3]، وبهذه الوثيقة أنتقل الشيخ عثمان وأتباعه من مرحلة العمل على نشر الدعوة إلى مرحلة الجهاد وبناء الدولة الإسلامية.

3-1- ب- جهاد عثمان بن فوديو: في 04جوان 1804م تقدمت قوات الجهاد بزعامة عبدالله بن فودي الذي أخلى مواقعه في جودو توقعا لهجوم من سلطان جوبير واتجه إلى بحيرة لبحيرة تابكين كوتو (Tabkin kwatto) [4]شمال بلدة دجل[5]، حيث أطبق المسلمون على قوات السلطان الجوبيري يونفا؛ وفي عام1805م عاود الأخير الهجوم من جديد على قوات الشيخ عثمان وجماعته، ودارت معركة تسونسو التي هزم فيها جيش

(1) غانم بودان، المرجع السابق، ص175.

(2) ذهني إلهام مُحَمَّد علي، **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي(1850-1914)**، دار المريخ للنشر، الرياض،1988م، ص41.

(3) مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص191.

(4) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **المسلمون والاستعمار الاوروبي لإفريقيا**، عالم المعرفة، الكويت، 1989م، ص36.

(5) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، شوقي الجمل، المرجع السابق، ص139.

الشيخ عثمان في البداية لكنهم صمدوا، واستمرت الحرب سجالا بين الطرفين دون تفوق طرف على الآخر، وتمكنت خلالها قوات الشيخ عثمان من السيطرة على إمارة كيبي()Kebbi، التي اتخذها عثمان عاصمة لقواته، وتوالى سقوط إمارات الهوصا (الحوصا)في أيدي جيش الشيخ عثمان حيث سقطت زاريا عام1805م ودخل عاصمة الإمارة وتسمى الكالاوا في عام1808م وتم قتل السلطان يونفا مع عدد من أتباعه، وبهذا انتهت مقاومة الوثنيين وتوافدت القبائل إلى معسكر الشيخ تعلن الدخول في الإسلام وبهذا توسعت إمبراطورية الفولاني، وتوسعت رقعتها، وتشكت لأول مرة وحدة سياسية بها، وانتقل الشيخ إلى مدينة سيفاوا عام1809م، بينما استقر ابنه مُحَمَّد بلو في مدينة سوكوتو[1]، ومن مدينة سيفاوا انتقل واستقر في مدينة سوكوتو التي اتخذها عاصمة له ثم قسم مملكته إلى قسمين: قسم شرقي تحت سيطرة ابنه "مُحَمَّد بللو" وقسم غربي تحت سيطرة أخيه "عبدالله"، واكتفى هو بالزعامة الروحية متخذا من مدينة سوكوتو مركزا للدعوة إلى الإسلام، كما عكف على التصوف وتأليف الكتب الداعية إلى الرشاد والابتعاد عن الانحراف، ومنها على سبيل المثال نذكر: أصول الولاية إحياء السنة- بيان البدع- ترغيب العباد- الجهاد.... وغيرها[2] إلى أن وافته المنية عام1817م، وأقيم له ضريح ومزار بمدينة سوكوتو، وكان أول من خلفه ابنه مُحَمَّد بللو، ولم يعتمد الفولاني بعد ذلك على الجهاد وحده في نشر الإسلام بل سلكوا طريق الدعوة في أغلب الأحيان ولم يلجاوا للجهاد إلى عند الضرورة. ولقد لعب أبناء الشيخ وأحفاده دورا بطوليا ضد الاستعمار الأوربي، وكان سقوط دولتهم في يد البريطانيين عام1903م[3]، وهذا بعد مقتل الخليفة الطاهر آخر خلفاء اسرة عثمان، وقد هاجر من بقى من أسرة عثمان بن فودي برئاسة حبانو بن سعيد بن فودي إلى السودان للانضمام إلى الثورة المهدية التي قامت ضد الوجود البريطاني في السودان [4].

(1) عبد الله عبدالرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص ص36-37.

(2) مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص194.

(3)عبد الله عبدالرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص ص36-37.

(4) فيصل مُحَمَّد موسى، **موجز في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي،1997م، ص ص101-102.

ومن مظاهر التجديد والاصلاح في دولة الشيخ عثمان بن فودي من خلال الآتي:

- محاربة الوثنية والبدع والخرافات في المعتقدات والعبادات.
- جددت دعوته نظام الحكومة الإسلامية بعد انصاره على حكام بلاد الهوسا، حيث أقام دولة إسلامية قسمها إلى ثلاثين30 إمارة طبقت الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام مالك.
- أقام الشيخ عثمان في كل قرية مسجدا تحت إشراف معلم.
- أعادت دعوته الإصلاحية أجواء الأمن والاستقرار ولمّ شمل المنطقة، حيث تجمعت تحت رايتها عدة ممالك من بلاد الهوسا، وصُبغت المنطقة بالطابع الإسلامي الذي لا يزال يميزها حتى اليوم مثل نيجيريا التي أصبحت أكبر دولة إسلامية في إفريقيا بفضل تلك الحركة الإصلاحية[1].

وختاما يمكننا القول أسس عثمان بن فوديو الإمبراطورية الفولانية ،كان ذا نزعة صوفية جعلته يتبع الطريقة القادرية، وصاحب نزعة علمية وهي أن العلم يجب أن يقرن بالعمل، بدأ ينتقل من مكان لأخر لنشر الوعي الإسلامي ومحاربة الشوائب والبدع والضلالات والتقاليد غير الاسلامية، ووحد بلاد الهوسا تحت سلطانه واتخذها لإدارتها مدينة سوكوتو- في نيجريا-، بعد أن اخضع سلطنة غوبير.

(1)مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص ص195-196.

– المحاضرة الحادية عشر

1–2– حركة الشيخ عمر الفوتي* الإصلاحية والجهادية(1798–1865)م.

1–2–أ– دعوة الحاج عمر الفوتي الاصلاحية.

1–2– ب– جهاد الحاج عمر الفوتي.

1–3– حركة الشيخ ساموري توري* الإصلاحية.

المحاضرة

1-2- حركة الشيخ عمر الفوتي* الإصلاحية والجهادية(1798-1865)م: يعتبر الحاج عمر بن سعيد الفوتي واحدا من أبرز علماء ومجاهدي غرب إفريقيا الذين كان لهم الأثر الواضح في تاريخ تلك المنطقة، فقد قام الحاج عمر بحركة اصلاحية كبيرة هدفت إلى نشر الإسلام وإحياء روح الجهاد وشملت مناطق واسعة من حوضي نهر السنغال والنيجر(1).

الشيخ عمر الفوتي*: ولد الحاج عمر بن سعيد عام1795م في قرية حلوار بالقرب من مدينة بودورPodor على الحدود السنغالية الموريتانية، وهو الأبن الرابع للشيخ سعيد المنتمي إلى جماعة التوردوب التي قاومت الوثنية في هذه المنطقة.

درس الحاج عمر اللغة العربية، وعلوم الدين تحت إشراف والده، فحفظ القرآن الكريم ودرس صحيح مسلم وصحيح البخاري وغيرها، وعندما بلغ الشيخ الخامسة عشرة15 من عمره ترك حلوار لكي يتلقى العلم والعلوم الإسلامية تحت إشراف العلماء المحليين في منطقة فوتاتورFouta-toro وعلى الطرق الصوفية وخاصة الطريقة التجانية، وفي عام1814م ترك الشيخ عمر منطقة فوتاتورو متوجها إلى مدينة ساتينياSatina في منطقة فوتاجالون، وفيها درس القرآن الكريم والسنة الشريفة لأطفال القرى والمدن المجاورة.

وفي عام1826م قام الحاج عمر برحلة دينية وثقافية بدأها بالذهاب إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج مع أخيه علي، وقام بها بالعديد من الرحلات زار خلالها العديد من المناطق منها مدينة سكوتو حيث التقى بالخليفة محمد بلو الذي زوجه أحدى بناته وتدعى فاطمة، ثم فزان، ومصر، وبلاد برنو، احتكر خلالها بعلماء البلاد التي مر بها وبالتالي توسعت مداركه واستحوذت ضرورة تغيير الأوضاع على فكره وعقله، وفي مكة المكرمة والتي أقام بها ثلاث سنوات التقى بالكثير من علماء الطريقة التيجانية. ينظر: محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص ص199-200. وأيضا: عبد الله عبدالرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص ص(64-66).

(1) محمد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص199.

1-2-أ- دعوة الحاج عمر الفوتي الاصلاحية: قام الحاج عمر الفوتي بالعديد من الرحلات في بلاد السودان خلالها أدهشته ما يسود المنطقة من فتور الوازع الديني عند المسلمين وتشتت قواهم وتفشي الجهل فيهم، فبدأ السعي حثيثا إلى نشر الإسلام في تلك المناطق وتطهيره من الشوائب التي علقت به في إطار حركة إصلاحية كبرى تلخصت أهدافها فيما يلي:

- العمل على نشر الإسلام في المناطق غي المسلمة وتصحيح ما انحرف من عقائد المسلمين وتطهيرها من الشوائب والخزعبلات والممارسات الغريبة على الدين الحنيف.
- العمل على إيجاد قوة مادية رادعة ومنظمة تقوم بمهمة حماية المكتسبات الإسلامية ورعاية شؤون المسلمين[1].
- إبعاد خطر الاستعمار عن غرب إفريقيا حيث كان الأوربيون يتاجرون مع أهل تلك المناطق ويحاولون مد نفوذهم السياسي واقتصادي.

ومن أجل هذا المسعى أسس الحاج عمر الفوتي بعد استقراره في فوتاجالون رباطا للعبادة أصبح مركزا للثقافة الإسلامية والنشاط التجاري، واخذ الحاج عمر يعظ الناس للرجوع إلى العقيدة الصحيحة، فانضوى تحت لوائه جموع غفيرة من أبناء المنطقة الراغبين في الآخذ من معارفه الإسلامية، ومن تلك الجموع تشكلت النواة الأولى لنشاط الحاج عمر الاصلاحي، واستطاع أن يحقق للطريقة التجانية انتشارا واسعا لم يسبق لها مثيل في الغرب الإفريقي.

1-2- ب- جهاد الحاج عمر الفوتي: عمد الحاج عمر الفوتي إلى تكوين جيش جرار بعد التحاق الكثير من أبناء منطقة الفوتاجالون[2]، وقسم الجيش إلى ثلاث مجموعات: الطلاب الذين يناصرونه في نشر الطريقة، ثم الصوفيون من الرقيق وغيرهم من المسلمين الأكثر حماسا للجهاد، وأخيرا جماعات التوبورو Tuburu وهم الذين

(1) نفسه، ص ص200-201.
(2) نفسه، ص201.

يتم تجنيدهم بالقوة، وكان الشيخ يكسب أعوانا جددا في كل المناطق التي مر بها أو قام بغزوها، وبلغت قواته12ألف رجل بعد استيلائه على مدينة تامباTamba، وزاد هذا العدد إلى15ألف جندي أثناء حصار مادينا عام1857م، لكنه انخفض إلى7ألف جندي عند غزو ماسينا بسبب المجاعة، لكنه عاد وارتفع إلى30ألف جندي عام1861م[1].

وقد استهل الحاج عمر الفوتي هذا الجهاد بغزو إمارة البمبارا* الوثنية في منطقة كارتاKaarta فدانت له بالطاعة في سنة1854م، ثم حاول بالتعاون مع ولاية ماسينا مهاجمة مملكة سيغو الواقعة في أواسط نهر النيجر ولكن ملك مسينا رفض أن يجيبه على هذا الطلب، فاتجه الحاج عمر بعد ذلك إلى جهة الغرب وأغار على منطقة حوض نهر السنغال الاوسط غي أن تغلل الفرنسيين في هذه الجهات بين سنتي1857و1859م أوقف تقدم الحاج عمر في هذه البلاد، فاتجه نحو الشرق ففتح مملكتي سيغو ومسينا ومن ثم استولت قواته على تمبكتو، وهكذا سارت حملات الحاج عمر الواسعة تنشر الدعوة بين الوثنيين في حوضي النير والسنغال وحقق الكثير من النجاح في مجالي الدعوة والسياسة فأصبح يحكم إمبراطورية واسعة تمتد من تمبكتو إلى المحيط الأطلسي، وكانت الطريقة التجانية هي الطريقة الرسمية في كل ارجاء الامبراطورية، إلا أن مملكتي سيغو ومسينا ثارتا على الحاج عمر وانتهى الأمر أخيرا بمقتله عام1864م[2].

ومن مظاهر التجديد والاصلاح في دولة الشيخ الحاج عمر الفوتي كالآتي:

(1) عبد الله عبدالرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص ص68-69.

إمارة البمبارا*: البامبارا جماعة من الماندينغ تقيم في حوض نهر النيجر الأعلى، خضعت لمملكة مالي، ثم لإمبراطورية الصنغاي، ثم أسست إمارة في مدينة سيغو خضعت لأمارة تومبوكتو، ثم استقلت عنها عام1660م، وتوسعت، وأخيرا حكمتها أسرة ديارا التي استمرت في الحكم حتى عام1861م حيث خضعت لسلطات الحاج عمر الذي قام الفرنسيين. ينظر: إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**، الجزء الثاني قارة إفريقيا، دار المريخ للنشر، الرياض،1993، ص208.

(2) مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص ص201-202.

– تنقية الإسلام في السودان الغربي بعد أن اخضعه خلال عشر سنوات، من كل ما علق به من شوائب، ووضع حد للوثنية.

– اتباع أسلوب العنف في تحويل الوثنيين إلى الشريعة الاسلامية وتطبيقها.

– القيام ببناء المساجد ونشر المدارس القرآنية في كل أرجاء المنطقة التي امتدت إليها حركته الاصلاحية في كامل السودان الغربي من حدود مدينة تمبكتو حتى حدود السنغال الفرنسية[1].

وختاما نقول عرفت حركة الحاج عمر الفوتي الاصلاحية بالعمرية وهي اصلاحية إذ هاجم البدع وسياسة التجهيل التي اتبعها بعض الشيوخ.

3– حركة الشيخ ساموري توري* الإصلاحية: بعد فرار ساموري توري من جيش الملك الوثني" سوري بيراما" في عام1861م وتحصنه في الجبال تاركا كل ممتلكاته تحالف مع رجال المرابط موري يولي سيس* وتعينه رئيسا عليهم بعد أن وجدوا في شخصية المهارة العالية وأعطوه كل الصلاحيات لتعبئة المقاتلين وتدربهم لبى ساموري توري عرض رجال المرابط وأقسم على بناء إسلامية في تلك المنطقة[2]، وأخذ يمد نفوذه في المناطق التي تشكل اليوم وسط ما

(1) عبد الله عبدالرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص69.

الشيخ ساموري توري*: ولد ساموري توري عام1835م في سانكورو Sanankoro بالقرب من بلدة بيساندوغو Bissandougou في وسط ما يسمي اليوم بجمهورية غينيا– كوناكري، ينتمي إلى قبائل المالنكِ، ولما بلغ سنة السابعة(07) للعيش مع خالته وزوجها، عاش هنا فترة يعمل في الزراعة وتربية الماشية، ولما عاد إلى أبيه قام بتدريبه على أصول التجارة والزراعة.=

= ولما بلغ ساموري18عاما أرسله أبوه إلى صديق في ساحل العاج ليعلمه تجارة السلاح والبارود، ومن خلال ذلك عرف ساموري أماكن الحصول على السلاح عندها بدأ يفكر في بناء إمبراطورتيه، لذا قضى الإمام معظم وقته بالدراسة والتفكير بالإضافة إلى ممارسة حرفة التجارة خلالها سافر الإمام إلى عدة مناطق في السودان الغربي فاطلع على نظام حياة العديد من المجتمعات هناك.

وفي عام1852م أغارت قوات ملك بيساندوغو الوثني" سوري بيراما" على بلدة ساموري توري(بلدة سانسكورو)، ومن نتيجة ذلك أسر أمه، وعند سماع ساموري بالخبر أخذ يفكر أي الطرائق أفضل لإنقاذ والدته من الاسر، وبعد ذلك قرر أن يخدم الملك الذي أسر أمه لمدة سبع(07)سنين مقابل الإفراج عن والدته، وخلال تلك المرحلة استطاع أن يتعلم طرق الديبلوماسية، كما أنه تدرب على فن قيادة جماعات الإغارة على القبائل الأخرى، ولكنه سرعان ما فر من الجيش عام1861م وتحصن في الجبال تاركا كل ممتلكاته. ينظر: مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص ص203–204.

سمى غينيا- كوناكري. وبداية من عام1874م بدأ ساموري بالغزو التدريجي لكل القرى المجاورة لعاصمته" بيساندوغو"، واستطاع أن يتقدم نحو أعالي النيجر وبالتالي ازدادت سيطرته على حافة فوتاجالون، وتكمن من التخلص من الحصار الوثني المضروب على سكان كانكان كانكان" (Kankan) هي أكبر مدينة في غينيا حاليا". وعاد في عام1880م ليهاجم قبائل السيسي ونجح في تحطيم كل القوى المنافسة له في المنطقة، وصار أكبر قائد لإمبراطورية إسلامية عرفها شعب المالنكِ، بمساحة حوالي مليون كلم^2 وقسم دولته على إدارة مركزية مقسمة إلى162مقاطعة تجتمع ضمن عشر(10)حكومات ويترأس كل واحدة منها قريب من أقربائه أو رجل موثوق به يساعده رجل عسكري ورجل ديني[1].

وبعد قضاء ساموري توري على منافسيه من الوثنيين في عام1884م، أتخذ لنفسه لقب الإمام أو أمير المؤمنين، وفي نوفمبر من العام نفسه ألغى شرب الخمور واستيرادها، ومنع كل العادات الوثنية وبدأ في تطبيق الشريعة الإسلامية[2]، وبنى المساجد، وأكثر من بناء المدارس والمساجد ونشر المواعظ، واهتم بتحفيظ القرآن الكريم[3] .

وفي الفترة ما بين1881-1891م دخل الإمام ساموري توري في حروب مع الاستعمار الفرنسي، لما رفض الإمام الإنسحاب من المنطقة التي كان يسيطر عليها وتسليمها لفرنسا مما ادى إلى اندلا ع العديد من المعارك التي

موري يولي سيس*: ظهر المرابط موري يولي سيس في عام1835م بمدينة كانكان في مرتفعات فوتاجالون(بما يسمى اليوم غينيا- كوناكري)، وناشد المسلمين هناك إلى إعلان الجهاد المقدس ضد القبائل الوثنية التي كانت مشغولة بصراعاتها الداخلية، ولما أحس هذا المرابط أن كانكان غير مستعدة للجهاد، قرر مع جماعة من رجاله إنشاء مجتمع جديد في الصحراء جنوب تلك المدينة، وعندما شعر موري يولي سيس باكتمال قوته أعلن الجهاد المقدس عام1835م وأغار على المدن المجاورة وكون أول مملكة إسلامية صغيرة في هذه المنطقة بعد انهيار وسقوط الإمبراطوريات الكبرى مثل مالي وسنغاي، وكان موري يولي سيس يسعى للقضاء على النظام القديم لجماعات الديولا، وفرض الزكاة على مملكته الجديدة. ينظر: مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص204.

(2) مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص205.

(1) نفسه، ص ص199-200.

(2) مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص207.

(3) الموسوعة العربية الإسلامية، تعريب، تيبرا دل فيوجو، الجزء السابع، الطبعة الثانية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض،1999، ص316.

انتصر فيها ساموري توري، وفي عام1887م عقد هدنة تخلى بوجبها عن بعض المناطق لفرنسا كي يتفرغ الإمام لمهاجمة سيكاسو، وأثناء حصار ساموري ليسكاسو بين مارس1887م وأوت1888م أثار الفرنسيون عددا كبيرا من اتباعه وحرضوهم ضده وضد أفكاره الدينية لكنهم فشلوا في ذلك. وفي عام1891م اعلنت فرنسا الحرب على الإمام ساموري توري ودامت المعارك بين الطرفين بين الكر والفر حتى عام1898م كان تبع اثناءها ساموري سياسة الأرض المحروقة، وعمد خلا تلك الفترة إلى استيراد الأسلحة الحديثة من ليبيريا وسيراليون، وامام امتلاك القوات الفرنسية للمدافع التي تضر تحصينات جيشه قرر ساموري تقسيم قواته إلى ثلاث فرق: الأولى تتوسع شرقا وتضم أراضي جديدة للدولة تعريضا عن الأراضي التي يفقدها أمام الفرنسيين في الغرب، والفرقة الثانية من القوات تتمركز في ساحل العاج، والفرقة الثالثة تقاتل الفرنسيين، إلا أن فرنسا تمكنت خلال تلك الفترة من الاستيلاء على العاصمة كانكان فنقل ساموري عاصمته إلى مدينة دايكالا في ساحل العام وهذا في عام1895م. لكن الظروف لم تكن في صالح الإمام ساموري توري إذ وجد نفسه محاصرا مع قواته في غابات ساحل العاج بين بريطانيا شرقا من ناحية غانا، ومن القوات الفرنسية غربا، اضافت إلى إعلان العديد من القبائل الوثنية الحرب عليه، وضف إلى ذلك تعرض جيش ساموري توري للجوع وبهذا وقع ساموري توري في الأسر وتم سجنه في29سبتمبر1891م، ثم ترحيله إلى الغابون حيث توفي عام1900م[1].

(1) مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص ص207-208.

المحاضرة الثانية عشر

1- أساليب و وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء.

2-1- الدعاة:

3-2- التجارة والمنافذ الجغرافية التي دخل منها الإسلام.

3-3- قبائل الصحراء.

3-4- الحج.

2-5- المشايخ والطرقية الصوفية.

المحاضرة

2- أساليب و وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء: انتشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء بعدة أساليب وطرق منها:

2-1- الدعاة: إن انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء لم يكن على أيدي مبشرين "دعاة" منظمين مرتبطين أصلا بدولهم على خلاف المسيحية التي اعتمدت في انتشارها أساسا على جهود المبشرين المرتبطين بالدول الأوربية المستعمرة[1]، فكان الداعية يتعقب الفاتح ليكمل النقص في تحويل الناس إلى الإسلام، والحق أن نجاح الرواد المسلمين نجاحا دنيويا سهل إلى حد كبيرا جدا نجاح الإسلام في جهات كثيرة من إفريقيا، كما سهل تأسيس دول إسلامية على أنقاض دول وثنية، وحينما شق الإسلام طريقه نجد هناك الداعي المسلم حاملا الدليل لعقائد هذا الدين فالتاجر كان يجمع بين نشر الدعوة وبيع سلعته، إذ ما دخل التاجر الداعية لقرية وثنية ما سرعان ما يلفت الأنظار بكثرة وضوئه وانتظام اوقات الصلاة والعبادة[2].

(1) حورية توفيق مجاهد، المرجع السابق، ص22.

(2) حسن إبراهيم حسين، **انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الإفريقية وغربيها**، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة،1957، ص33.

2-2- التجارة والمنافذ الجغرافية التي دخل منها الإسلام: هناك صلة مهمة بين الإسلام والتجارة فالإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير، الإسلام انتقل وانتشر عبر الصحراء مقتفيا طرق تجارة القوافل التي وجدت قبل دخول الإسلام للمنطقة، وتميز التجار بالعديد من السمات التي أثارت وأشاعت الفضول والتساؤل عن الإسلام، بعض هذ السمات تتعلق بمظهر التجار الخارجي، حيث الملابس الفضفاضة وغطاء الرأس المميز، إلى جانب تطهرهم ووضوئهم على مدار اليوم، وبعض السمات تتعلق بأخلاقيات التجار وتصرفاتهم كالأمانة في البيع والشراء، بالإضافة إلى محافظتهم على أداء العبادات من صلاة وصوم[1].

وقد لعبت القبائل البربرية الدور الأول في نشر الإسلام بعد اعتناقهم له وبعد أن استقرت الحياة الإسلامية في شمال إفريقيا، بدأت العلاقات التجارية عبر الصحراء مع شعوب إفريقيا جنوب الصحراء، فحمل التجار المسلمون عربا وبربرا رسالة نشر الاسلام بين شعوبها؛ وكانت الصحراء بمثابة البحر الذي تخللته طرق القوافل التجارية، وقد تنج عن هذه الطرق وجود عدة مسالك ودروب يمكن أن تسير عبرها القوافل من شمال الصحراء إلى جنوبها[2]، هذا وقد لعبت الصحراء في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء ما لم يلعبه المحيط الاطلسي من الادوار الحضارية إذ كانت طرق الصحراء إلى غرب إفريقيا بمثابة مسالك ودروب عبرت من خلالها اللغة العربية والثقافة الاسلامية إلى إفريقيا جنوب الصحراء [3]، وهنا يحصي الأستاذ الدكتور عبدالقادر زبادية، طرق ومسالك* تجارية مشهورة وأهم هذه الطرق نجد:

1- طريق فاس – سجلماسة – تغازا أو (تغازة) تقع جنوب المغرب الأقصى – والاتا 'ولاتة' -في موريتانيا- تمبكتو.

2- طريق مراكش – تافيلات في الجنوب الشرقي للمملكة المغربية - تمبكتو.

(1) نفسه، ص22.
(2) أحمد إبراهيم دياب، المرجع السابق، ص48.
(3) نفسه، ص ص55-56.

3- – طريق تلمسان – غرداية – توات – تمبكتو.

4- طريق تكرت و ورقلة إلى غاو.

5- طريق طرابلس – غدامس – عين صالح في تمنراست- توات في ولاية أدرار – تمبكتو[1].

1- طريق فاس– سجلماسة – تغازا أو (تغازة)– والاتا 'ولاتة' أو (ايوالاتن بحسب أبن بطوطة)– تنبكت :

ظهر هذا الطريق ببروز مدينة تنبكت كمحطة تجارية هامة، وهو الطريق الذي وصف مرحلته الأولى فاس – سجلماسة، الجغرافي الأندلسي أبوعبيد الله البكري ينطلق من مدينة فاس باتجاه سجلماسة مرورا بمدينة صفروي، الواقعة على الضفة الغربية لوادي سبو جنوب فاس، ثم يتجه عبر موقع صغير يقال له المزي ، ثم إلى قرية تاسغمرت الواقعة على نهر سبو، ومنها إلى سجلماسة[2]، ويقدر ابن حوقل طول هذه المرحلة الأولى من الطريق بثلاثة عشر (13) يوما من السير[3].

والرحالة المغربي ابن بطوطة سلك هذا الطريق منطلقا من سجلماسة إلى تغازا، ومنها إلى ولاتة(ايوالاتن) ويقدر المسافة بين سجلماسة إلى تغازا بخمسة وعشرين(25)يوما، ومن تغازا إلى ولاتة خمسة وثلاثون(35)يوما، ومنه المسافة من سجلماسة إلى والاتا شهران كاملان(60 يوما) ، ومن والاتة إلى تنبكت مسافة أربعة وعشرين (24) يوما مرورا بقرية زاغري- قرية كبيرة تقع بين ولاتة وتنبكت، يسكنها التجار السودان- ، ثم النهر الأعظم وهو النيل، يقصد به نهر النيجر[4].إذن المسافة بين فاس وسجلماسة 13 يوما. والمسافة بين سجلماسة إلى ولاتة 60 يوما. والمسافة بين ولاتة إلى تنبكت 24 يوما. ومنه المسافة على طول الطريق فاس – تنبكت 97 يوما.

(1) عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989، ص 29.

(2) أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري، **المغرب في بلاد إفريقية والمغرب**، مقتبس من كتابه، المسالك والممالك، مكتبة أمريكا والشرق ميزون نوف باريس،1965، ص147.

(3) أبو القاسم النصيبي ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ، ص90.

(4) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 674 وما بعدها.

2– طريق تلمسان– غرداية – توات – تنبكت: من تلمسان ونواحيها تأتي القوافل التجارية وتجتمع في غرداية، ومنه تنطلق القوافل إلى توات[1]، ومن **توات إلى تنبكت** مخترقة أراضي قبائل التوارق(الطوارق)، بعد أن تدفع إتاوة مالية لمشايخ هذه القبائل نظير المرور بأراضيهم تعرف باسم (حق الطريق) وتستمر القافلة في سيرها المرحلي والطويل قرابة الشهر والنصف (45) يوما، تقطع خلال هذه المدة ما يقرب من 1300كيلومتر، بمعدل 45 كيلومتر في اليوم حتى تصل إلى مدينة تنبكت. وتمر القافلة المتجهة نحو مدينة تنبكت بمنطقة المبروك، وأروان، وكان هذا الطريق هو أكثر الطرق أمانا، ولذلك كانت قوافل الإقليم التواتي تسلكه عند سيرها نحو تنبكت مرورا بتاوديني[2] هذا الطريق من أقدم الطرق الذي تسلكه القوافل التجارية وأصبح له شأن كبير خاصة بعد حج منسى موسى الذي انطلق من مدينة تنبكت[3]، إذ كانت تخرج قافلتان كبيرتان تتجهان إلى أسواق تنبكت الأولى في النصف الأول من السنة، والثانية في النصف الثاني من نفس السنة وفي كل عام وفي الغالب تمكث القافلة هناك حوالي ثلاثة(3) أشهر تستبدل أثناءها سلعها التي جلبتها معها من أسواق الشمال بالسلع المعروضة في أسواق تنبكت، وتعود القافلة سالكة نفس طريق الذهاب وتدخل الإقليم التواتي من إحدى نقطه الثلاث(مدنين – قبلي– عين صالح). وتدفع الرسوم الجمركية على ما تحمله من سلع الجنوب النادرة[4].

3– طريق تكرت و ورقلة إلى غاو: هذا الطريق ينطلق من المؤانى الجزائرية الهامة في الشمال مثل جزائر بني مزغنة وسكيكدة[5] وعنابة، ومستغانم وغيرها، ويتصل بالمدن الكبيرة مثل: تلمسان وقسنطينة ومدن الجريد بالجنوب

(1) سليمان داود بن يوسف،" **انتشار الحضارة الإسلامية وإفريقيا السوداء** "، مجلة الأصالة ، وزارة الشؤون الدينية الجزائر تمنغرست،30اوت–8سبتمبر 1979، الجزء الثاني، ص128.

(2) فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنيين 18–19م**، ديوان المطبوعات الجامعية،2007، ص91 .

(7) Cornevin,(R et M), **Histoire de l'Afrique des origines à la deuxième guerre mondiale**, paris,1964,p.556.

(4) فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص92.

(5) عبدالقادر زبادية، المرجع السابق، ص29.

التونسي وبوادي ريغ وسوف وغيرها[1]، وقد أورد المؤرخ عبدالرحمن بن خلدون هذا الطريق وقدر المسافة بين تكرت و(واركلا) ورقلة بـ 70مرحلة[2] ،أي نحو(262)كلم تقريبا، وابن خلدون زار بسكرة سنة 754هـ/1353م،في أيام أبي عنان إذ يقول:"... لقيت رسول صاحب تكرت عند يوسف بن مزني أمير بسكرة يقول ابن خلدون، اخبرني عن استبحار هذا المصرفي العمارة، ومرور السابلة وقال (صاحب تكرت لابن خلدون) اجتازينا هذا العام سفر من تجار المشرق إلى بلد مالي كانت ركابهم اثني عشر ألف راحلة، يقول(ابن خلدون) وذكر لي غيره أن ذلك هو الشأن في كل سنة."[3].

4- طريق طرابلس – غدامس – عين صالح- توات – تنبكت: كان اتصال طرابلس الغرب بعاصمة الصحراء الكبرى تنبكت وبقية مناطق غرب إفريقيا يتم عن طريق واحة غدامس بشكل خاص، حيث كانت القوافل التجارية تتخذ طريقها انطلاقا من طرابلس ثم غدامس ومنها إلى عين صالح، وتوات بالجنوب الجزائري ثم تنبكت، وهناك نوعان من القوافل الأولى تتكون من 100 الى150 جملا وهي القوافل الصغيرة أما القوافل الكبيرة، فيتعدى عدد الجمال فيها ليصل إلى 2.000 جمل، وقد تصل إلى ضعف هذا العدد في الرحلة الواحدة، كل هذه القوافل تصل إلى تنبكت في الفترة بين شهري ديسمبر وينابر من كل عام وتغادرها بين شهري جويلية وأوت من نفس العام وهي فترة اختارها تجار القوافل بدقة حيث تقل درجة الحرارة نهارا(92)[4].

(1) سليمان داود بن يوسف، مجلة الأصالة، ص 128.

(2) **المرحلة** تساوي 3.75كلم. ينظر: عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين المغرب والجزائر في القرن 10هـ/16م**، الجزء الثاني، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،2008م، ص68.

(3) عبدالرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدا والخبر**،7اجزاء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،2000، الجزء6، ص269.

(4) علي عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ص 29-30.

ويقدر الرحالة الأوربي الفرنسي فليكس ديبوا في القرن19م، عدد الجمال التي تصل تنبكت من مختلف الجهات كل عام يصل عددها ما بين50إلى60ألف جمل، وقد انخفض هذا في الفترة الاستعمارية 'الاحتلال الفرنسي' للمنطقة ليصل عددها 14.000 جمل فقط[1].

وفي الأخير عن طريق هذه الطرق نقل العرب والبربر دينهم وتجارتهم إلى غرب إفريقيا، ولم يكونوا رواد استعمار أو مستعمرين بل كانوا هداة دعاة[2].

2-3- قبائل الصحراء: الوسيلة الثانية التي انتشر عن طريقها الإسلام هي قبائل الصحراء ويرجع ذلك إلى فترة قبل القرن11م، فالرأي الراجح أن قبائل الطوارق قد اسلمت في حوالي القرن10م، اما انتشار الإسلام بين قبائل صنهاجة فقد تم حوالي القرن9م وأن الملك الصنهاجي تورشيلي كان من أهل الفضل وكان حاجا وقتل في حرب مع الوثنيين في الجنوب. وذكر البكري أن الكثير من الممالك اسلم ملوكها، ومن أهم تلك الممالك مملكة التكرور التي تأسست في حوض نهر السنغال، وقد اسلم ملكها وكان اسمه" ورجابي بن رابيس" في عام1041م والذي أمر قومه بتحطيم الاصنام وفرض عليهم الاسلام، وبالتالي أصبحت مملكة التكرور أول دولة اسلمت في غرب إفريقيا، وقد لعب التكارنة أو التكرور الدور الأول والاساسي في نشر الاسلام بين القبائل الواقعة في النطاق السوداني" السافنا" قبل ظهور المرابطين بفترة كما لعبوا بعد ذلك دورا في حركات التجديد الاسلامي على يد عثمان دان فوديو في القرن19م، سيأتي ذكره فيما بعد. واسلم أيضا ملك مقاطعة ملل أو مالل- دولة مالي فيما بعد-، "برا مثقاله" ويذكر أنه حج وسار على سنته في الحج من بعهده احفاده[3].

2-4- الحج: ترك الحج علامات مميزة في استمرار العلاقة بين غرب إفريقيا ومراكز العالم الإسلامي، إذ كان الحج وسيلة من وسائل الاتصال بشمال إفريقيا ومراكز الثقافة ويقول أبن خلدون:(**وحج جماعة من ملوكهم و أول**

., Op. Cit .pp.281-282)Dubois ;(F7) (

(2) أحمد إبراهيم دياب، المرجع السابق، ص48.

(3) أحمد إبراهيم دياب، المرجع السابق، ص ص(48-51) .

من حج منهم..برمندانه، وسبيله في الحج هي التي اقتناها ملوكهم من بعده... ثم حج منهم منسا ولى ابن ماري" منسى موسى" ايام الظاهر بيبرس،...)، ومن سمات حج سلاطين الممالك الاسلامية السودانية، مظاهر الترف والفخامة، وكان سلاطينهم يستفيدون من رحلاتهم للحج بفوائد عظيمة؛ فقد كانوا يتصلون بالعلماء والمعلمين والمهندسين ويأخذونهم إلى بلادهم لتطوير الإدارة بها ولرفع المستوى الثقافي والعمراني فقد سافر الساحلي المعماري الاندلسي مع ملك مالي منسى موسى[1]، وبعد عودته من الحج اصطحب معه شاعر الأندلس أبو إسحاق إبراهيم الساحلي، والمعروف بالطويجن[2]، الذي كلف ببناء مسجد ضخم بالمدينة ليكون ملتقى لعلماء المدينة وأئمتها ولباقي علماء المنطقة[3]، أطلق عليه اسم مسجد جنكر بير(سبق ذكره)، كما كلف ببناء القصرالملكي مادقوMadougou [4]، وقد كأفاه السلطان على هذا العمل بما يبلغ 65الف جنيه[5]، وأصطحب منسى موسى عددا من رجال الدين، والتجار. ولما توفى السلطان بعد خمسة وعشرين(25)سنة من حكمه خلفه ابنه منسا مغا حكم أربع(4)سنوات، ولما هلك خلفه منسا سليمان بن أبي بكر وهو أخو منسا موسى، وحكم أربع وعشرين(24)سنة[6]. بنى منسا سليمان المساجد والجوامع، والمنارات، وأقام بها الجمع، والجماعات والآذان، وجلب الفقهاء من مذهب مالك-رضي الله عنه-[7].

2-5- المشايخ والطرقية الصوفية: أن من الظواهر الواسعة انتشار في إفريقيا وجود المشايخ والذين يُطلق عليهم أسماء عدة أشهرها "المرابو" في غرب إفريقيا، و"الملا" في شرق إفريقيا، وقد أكتسب المرابو في غرب القارة أهمية

(1) نفسه ، ص ص61-62.

(2) عبدالرحمن بن خلدون، المصدر السابق، الجزء6، ص267.

(4) Boubou, (H),Op. Cit ,p.33.

(4) علي مُحَمَّد عبداللطيف، المرجع السابق، ص88.

(5) آدم عبد الله الالوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،1965، ص156.

(6) عبدالرحمن بن خلدون، المصدر السابق،الجزء4، ص201.

(7) أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشا في صناعة الأنشا**، تعليق وشرح، مُحَمَّد حسين شمس الدين،15جزاء، دار الكتب العلمية، بيروت ،دون تاريخ،الجزء5،ص285.

خاصة حيث أدوا وما زالوا يؤدون دورا أساسيا في نشر الإسلام. والمرابو أقدم تاريخيا من الصوفية، وإن كان ظهورها قد أمدهم بدفعة قوية نتيجة الانجذاب إليها، حيث ازداد عددهم وتحدد نظامهم وتبلورت لديهم المؤسسية، هذا فضلا عن ازدياد قوتهم في المجال السياسي والاجتماعي، مما أكسبهم مزايا اقتصادية كرست قوتهم ونفوذهم[1].

أما الطرق الصوفية فقد وفدت إلى إفريقيا جنوب الصحراء من عدة جهات من الحجاز ومصر وشمال وغرب إفريقيا، وكان الأثر الحجازي أقوى من سواه وربما يكون مرده إلى القيمة الروحية للحجاز والأثر الوجداني العميق لذلك على السودانيين[2]، وقد لعبت دوراً مقدراً في إضعاف الروح القبلية التي كانت في المجتمع السوداني فهي جمعت بين أفراد ينتمون إلى عدد من القبائل، ولعب مشايخها دور في حل الكثير من النزاعات باعتبارهم موضع احترام وإجلالا بين الحكام والقبائل[3].

(1) حورية توفيق مجاهد، المرجع السابق، ص13.

(2) مُحَمَّد النور بن ضيف الله، **الطبقات**، تحقيق، يوسف فضل حسن، الطبعة الثالثة، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم،1985، ص8.

(3) يوسف فضل حسن،" **مفهوم الأمة السودانية، منظور تاريخي**"، دراسات في الوحدة الوطنية، مركز دراسات الحكم الإقليمي، الإقليمي، جامعة الخرطوم،1988م، ص42.

الطريقة القادرية: وتنسب إلى الطريقة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلالي* في العراق، والشيخ عبد القادر الجيلاني(470-561هـ/1077-1166م)، ولد بجيلان أو كيلان بإقليم طبرستان بإيران وتوفي ودفن ببغداد. وكان الشيخ عبد القادر عالماً ضليعاً يفتي على مذهب الإمامين الشافعي وابن حنبل. وتنسب له الطريقة القادرية التي تُعرف أيضاً بالجيلانية، وقد انتشرت تعاليم الشيخ عبد القادر الجيلاني بواسطة تلاميذه في أنحاء واسعة من العالم الإسلامي، ومنهم: الشيخ تاج الدين البهاري.

وتنتشر الطريقة القادرية بقوة في غرب غفريقيا، وتعرف بالمريدية في السنغال وتفرع منها الطريقة الفوديوية التي أنشائها الشيخ عثمان بن فوديو في القرن19م. ينظر للمزيد: مُحَمَّد النور بن ضيف الله، المصدر السابق، ص8. وأيضا: حورية توفيق مجاهد، المرجع السابق، ص22.

الطريقة التجانية**: أسسها أبو العباس أحمد بن المختار بن أحمد التيجاني ولد في عين ماضي بولاية الأغواط سنة1150هـ/ 1737م وتوفي سنة1823م، حفظ القرآن الكريم وتلقى على شيوخها علوم العربية والفقه المالكي، ثم ارتحل من جهة إلى أخرى(من عين ماضي إلى أبي سمغون بجنوب البيض، وتوات، والأبيض سيدي الشيخ، وتلمسان، ومنها إلى المغرب الأقصى حيث حل بمدينة فاس)، وخلال تنقله من جهة إلى أخرى كان ينشر طريقته، ويعمد إلى تأسيس زاوية في كل مكان يحل فيه. للمزيد ينظر: عمار هلال، المرجع السابق، ص ص(118-123).

ومن أشهر الطرق الصوفية التي نشرت الإسلام بإفريقيا ثلاثة طرق صوفية هي: القادرية* والتجانية** والسنوسية***؛ إلا أن الأولتين كانتا أوسع نشاطا في الجهة الغربية من القارة، بينما السنوسية فكانت أكثر نشاط في الجهة الشرقية من القارة، وقد لعبت تلك الطرق الصوفية دورا بارزا في نشر الإسلام بين الوثنيين(1)؛ فالحركات الحربية التي قام بها افراد من التجانية هي تلك الحركة التي قادها الحاج عمر الفوتي، السابق ذكره، وكما رأينا سابقا إذ سار بحملاته الواسعة لنشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين في حوض النيجر والسنغال(2)، وعثمان بن فوديو في شمال نيجيريا(الفولاني) قادري الطريقة، ومُحَمَّد أحمد المهدي في السودان، والملا مُحَمَّد عبدالله حسن في الصومال، ثم نادوا بعد ذلك باستخدام القوة والعنف ضد الغزو الأوربي للمنطقة أي أن فكرة الجهاد نفسها تطورت فبعد أن كانت ضد الوثنيين شملت الأوربيين أيضا(3)، والملاحظ أن نشاط هذه الطرق الصوفية في نشر الدعوة قد بدأ متأخرا ولم يتبلور إلا في القرن19م، والإفريقي بطبعه ينجذب بشدة للطرق الصوفية، فالالتفاف حول الشيخ والاشتراك في حلقات الذكر أو ما يُسمى" الحضرة" يملأ الفراغ الروحي عند الإفريقي، وأهم إنجازات الطرق الصوفية هو أن الإسلام انتقل على أيدي مشايخ الطرق من حالات فردية إلى حالات جماعية(4).

– الطريقة القادرية في إفريقيا جنوب الصحراء: انتشرت القادرية في غرب إفريقيا كطريقة صوفية خلال القرن16م وذلك بواسطة جماعة من المهاجرين العرب الذين استقروا مدة في توات، ثم إلى ولاته متخذين الاخيرة كمركز أول للطريقة في منطقة السودان الغربي، ومن ثم تمبكتو، ثم أخذت الطريقة القادرية إلى السودان الشرقي إلى

الطريقة السنوسية***: أسسها سيدي مُحَمَّد بن علي السنوسي الذي ولد عام1788م بالقرب من مستغانم اين تلقى تعليمه بها ثم انتقل إلى مازونة بمعسكر ثم إلى مدينة فاس بالمغرب الاقصى ثم الحجاز.

أنشأ السنوسي زوايا في الواحات حول برقة وفزان في ليبيا وحول بحيرة تشاد في كانم وبرنو. ينظر للمزيد: عمار هلال، المرجع السابق، ص ص127-128. وأيضا: مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص ص45-46.

(1) إلهام مُحَمَّد علي ذهني، المرجع السابق، ص37.

(2) حورية توفيق مجاهد، المرجع السابق، ص25.

(3) إلهام مُحَمَّد علي ذهني، المرجع السابق، ص37.

(4) حورية توفيق مجاهد، المرجع السابق، ص13.

الخرطوم وكردفان و دارفور مرورا بمملكة الواداي والبرنو في السودان الأوسط، وكان تطورها الحقيقي في بداية القرن19م مع الدعاة القادريين السودانيين منهم: الشيخ عثمان بن فوديو والشيخو أحمد معلنين الحرب على الوثنية المحلية، وعلى الاستعمار الفرنسي في غربي القارة[1]، وقبل هذا كان من مشايخ ورجالات الطريقة القادرية الشيخ مُحَمَّد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني، السابق ذكره، الذي نشر الطريقة في أواسط الصحراء الكبرى ثم إلى نيجيريا، والشيخ سيدي أحمد البكاي في القرن15م الذي عمل على نشر دعوته في الجزء الغرب من الصحراء الكبرى وتعرف طريقته بالطريقة البكائية، وانتشرت الطريقة القدرية على يد الشيخ المختار الكنتي والشيخ التارازي في كل من غامبيا وغينيا وليبيريا وغانا حاليا... وغيرهم[2]. وعرفت الطريقة القادرية في الستنيات القرن20م انتشارا ملحوظا في السينغال، حيث تقتسم مع الطريقة الصوفية التجانية المليون ونصف المليون من المسلمين السنغالين[3].

– الطريقة التجانية في إفريقيا جنوب الصحراء: ظهرت التجانية في أول أمرها بغرب إفريقيا بواسطة مُحَمَّد الحفيظ بن مختار الحبيب الملقب ببادي، والذي قد زار التجاني أحمد بن مُحَمَّد أبن المختار بن سالم التجاني في فاس سنة1780م الذي أخذ تعاليمها ومبادئها ونشرها بين أفراد قبيلته ومن ثمة انتشرت بباقي المناطق، إذ انتشرت في السنغال، وبلاد البورنو وسوكتو، وماسينا، وشرق تشاد، وقد اتخذ دعاة التجانية من التجارة كوسيلة لنشر طريقتهم بأنشائهم قوافل تجارية كانت تخترق الصحاري من أدرار إلى تمبكتو ثم سيغوا ومنها إلى السنغال ذهابا وايابا[4].

وللطريقة التجانية أتباع بمنطقة الجعليين

(1) عمار هلال، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر،1984، ص ص(108-115).

(2) مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص44.

(3) عمار هلال، المرجع السابق، ص ص114-115.

(4) نفسه، ص ص(123-126).

وبربر ودار الشايقية في السودان الشرقي وقد اشتهر منهم الشيخ الهدى الذي أيد الحركة المهدية في السودان ضد الحكم الثنائي المصري- العثماني[1].

– الطريقة السنوسية في إفريقيا جنوب الصحراء: كان للطريقة السنوسية أثر في نشر الإسلام في غرب القارة الإفريقية وفي حوض نهر النيجر بشكل خاص في القرن19م، وحول بحيرة تشاد.

وختاما لحديثنا عن الطرق الصوفية لابد أن نشير إلى أن ظهور هذه الطرق بدأ متأخرا في غرب إفريقيا ولم يتضح إلا في القرن19م، فقد سبق التجار رجال الطرق الصوفية بحوالي عشرة قرون ومن هنا نقول أن دور الصوفية كان استمرار وليس تأسيسيا، ومع هذا فقد كان للطرق الصوفية نجاحا أوسع في اعتناق الإسلام بشكل جماعي من طرف الوثنيين[2].

- **المصادر والمراجع المعتمدة لإعداد المحاصرات:**

1– المصادر:

- التونسي مُحَمَّد بن عمر، **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب و السودان**، تحقيق، خليل محمود عساكر و مصطفى مُحَمَّد مسعد، راجعه مصطفى مُحَمَّد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر،1965.
- الوزان الحسن ، **وصف إفريقيا**، ترجمة، عبد الرحمن حميدة، تعليق ايبولار، ت، مونو،هـ، لوت، و ر، موني، راجعه، علي عبد الواحد.
- شقير نعوم ، **جغرافية و تاريخ السودان**، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت،1972.

(1) مُحَمَّد محجوب مالك، **المقاومة الداخلية لحركة المهدية(1881–1898)م**، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت،1987، ص147.

(2) مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص ص45-46.

- – عبدالرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدا والخبر**، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت ،2000،الجزء6.
- عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن ناصر السعدي، **تاريخ السودان**، تحقيق، هوداس و بنوة، باريس1964.
- مولاي أحمد بابير الأرواني، **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية** تحقيق الهادي المبروك الدالي، الطبعة الأولى، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي 2001.
- أبي عبد الله الطالب مُحَّد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، **فتح الشكور في معرفة علماء التكرور**، تحقيق مُحَّد إبراهيم الكتاني، ومُحَّد حجي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي بيروت،1981.
- مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي، **أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي**، تحقيق، عبدالقادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974.
- ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ.
- أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تحقيق علي عمر، مجلدان، المجلد الثاني، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، الفاهرة،2004.
- أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، الجزء الأول. تحقيق، مُحَّد مطيع، جزءان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000،
- أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري، **المغرب في بلاد إفريقية والمغرب**، مقتبس من كتابه، المسالك والممالك، مكتبة أمريكا والشرق ميزون نوف باريس،1965.
- أبو القاسم النصيبي ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.

- أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشا في صناعة الأنشا**، تعليق وشرح، مُحَمَّد حسين شمس الدين،15جزاء، دار الكتب العلمية، بيروت ،دون تاريخ،الجزء5.
- مكي شبيكة، **السودان عبر القرون**، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
- المغيلي(مُحَمَّد بن عبدالكريم)، **أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي**، تحقيق عبدالقادر زبادية، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر،1974.

2- المراجع باللغة العربية والمعربة:

- عبد الغفار مُحَمَّد أحمد، **في تاريخ الانتروبولوجيا والتنمية في السودان(مجموعة دراسات)**، ترجمة، مصطفى مجدي الجمال، مركز البحوث العربية و الإفريقية، د. ت.
- مُحَمَّد محجوب مالك، **المقاومة الداخلية لحركة المهدية(1881-1898)م**، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت،1987.
- عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، دراسات ونصوص المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989.
- يحي جلال، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية،1999.
- إبراهيم علي طرخان، **إمبراطورية غانة الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة،1970م.
- أحمد شكري، **الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي1230-1430م**، الطبعة الأولى، المجمع الثقافي ابوظبي، 1999م.
- **المحاضرات العامة الموسم الثقافي1967-1968م**: عبدالرحمن زكي، **محاضرة" المراجع العربية للتاريخ الإسلامي في غرب إفريقيا"** محاضرة القيت يوم20نزفمبر1967م، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، 1968م.

- أحمد إبراهيم دياب، **لمحات من التاريخ الإفريقي**، الطبعة الأولى، دار المريخ، الرياض،1981م.
- نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية** ، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974.
- مُحَمَّد محمود الصياد ومُحَمَّد عبد الغني سعودي، **السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي**، دار الرائد للطباعة، القاهرة، 1966 .
- أحمد الشيخ، قناة الجزيرة الفضائية، برنامج الشاهد، عنوان الحلقة، **"جدلية الهوية والجغرافية"**، ج1، بتاريخ:12-05-2011.
- حمدنا الله مصطفى حسن، **التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (1841– 1881)**، الطبعة الأولى، دار المعارف، 1985.
- جيمس روبرتسون، **السودان من الحكم البريطاني المباشر إلى فجر الاستقلال**، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت، 1996.
- أحمد أبو سعدة، **جنوب السودان وأفاق المستقبل**، الجزء الأول، دمشق، 2006 .
- جوان جوزيف، **الاسلام في ممالك وامبراطوريات إفريقيا السوداء**، ترجمة، مختار السويقي، الطبعة الاولى، دار الكتب الاسلامي، (دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني)، القاهرة، بيروت،1984م.
- الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن15إلى بداية القرن18** .
- مصطفى عبد التواب، **ملحمة الجنوب قصة الديمقراطية في السودان إبان ثورة مارس افريل 1985**، مطابع الأخبار، 1987 .

- شوقي الجمل، **تاريخ سودان وادي النيل، حضارته وعلاقاته من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر**، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة،2008.
- محمود شاكر، **السودان**، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، 1981 ، ص14.
- يحي جلال، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة، الإسكندرية،1999.
- مُحَمَّد مهري كركوكي، **رحلة مصر و السودان**، مطبعة الهلال بالفجالة، القاهرة، 1914 .
- ديدار فوزي روسانو، **السودان إلى أين..؟**، ترجمة، مراد خلاف، المنشورات الإلكترونية للكتب العربية، ب.ت.
- مُحَمَّد عوض مُحَمَّد، **نهر النيل**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1914.
- نعيم قداح، **حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية**، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ.
- علي مُحَمَّد عبد اللطيف، **تمبكتو أسطورة التاريخ**، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية بنغازي،2001.
- رجب مُحَمَّد عبد الحليم، **العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.
- عثمان برايما باري، **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دار الأمين للنشر والتوزيع، د.ت.
- قنسان مونتاي، الإسلام الأسود، ترجمة، إلياس حنا إلياس، الطبعة الأولى، دار أبعاد، بيروت،1983.
- جمال زكريا قاسم، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، دار الفكر العربي، 1999.
- عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل، **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر**،القاهرة،1998.

- مُحَمَّد فاضل علي باري، سعيد ابراهيم كريدية، **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، بيروت،2007.
- ذهني إلهام مُحَمَّد علي، **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي(1850–1914)**، دار المريخ للنشر، الرياض،1988م.
- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **المسلمون والاستعمار الاوروبي لإفريقيا**، عالم المعرفة، الكويت، 1989م.
- فيصل مُحَمَّد موسى، **موجز في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة، بنغازي،1997م.
- إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**، الجزء الثاني قارة إفريقيا، دار المريخ للنشر، الرياض،1993.
- عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989.
- فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنيين 18–19م**، ديوان المطبوعات الجامعية،2007.
- عمار بن خروف، **العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين المغرب والجزائر في القرن 10هـ/16م**، الجزء الثاني، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،2008م.
- آدم عبد الله الالوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،1965.
- مُحَمَّد النور بن ضيف الله، **الطبقات**، تحقيق، يوسف فضل حسن، الطبعة الثالثة، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم،1985.
- يوسف فضل حسن،" **مفهوم الأمة السودانية، منظور تاريخي**"، دراسات في الوحدة الوطنية، مركز دراسات الحكم الإقليمي، جامعة الخرطوم،1988م.

- حسن إبراهيم حسين، **انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الإفريقية وغربيها**، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة،1957.
- عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493–1591)م**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ.
- جاك ووديس، **جذور الثورة الإفريقية**، ترجمة وتعليق، أحمد فؤاد بلبع، راجع الترجمة، عبدالملك عودة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،1971.
- عمار هلال، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر،1984.
- يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى القرن 20م** ، دارهومة، الجزائر،2001 .
- عصمت عبداللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (1038–1121)م**، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان،1988.
- تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع، **إفريقيا من القرن 12م إلى القرن 16م**،المشرف على المجلد،ج. ت. نياني،" **الصنغي من القرن 12م إلى القرن16م**"، سينيكي مودي سيسوكو، اليونسكو،1988.
- حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر العربي القاهرة،2001.
- عبد الرحمن زكي، **تاريخ الدول الإسلامية بإفريقيا الغربية**، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة،1961م.
- عمر بن سالم بابكور، **النهضة العلمية والثقافية في مدينة تمبكت الإسلامية في القرن العاشر الهجري–السادس عشر الميلادي**،الاسكندرية،2002.

3- المجلات والدوريات والملتقيات:

- حورية توفيق مجاهد،" **تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا... الأبعاد والوسائل**"، مجلة قراءات إفريقية، العدد06، سبتمبر2010، الرياض.
- عبدالقادر زبادية،"**ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر**"، المجلة التاريخية المغربية،1976، العدد7– 8، ديسمبر.
- عنتا ديوب،" **عملية نشر الإسلام في إفريقيا السوداء، ودور جامعة تومبوكتو**"، كتاب الأصالة، الجزء الثاني،1978.أبوبكر إسماعيل مُحَمَّد ميقا، "**تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي(من القرن الرابع الهجري الى مطلع القرن الثالث عشر)** "، مجلة الدارة، العدد الثاني، الرياض،1993.
- أحمد فؤاد بليغ ،"**عبدالرحمن السعدي، عصره وكتابه(تاريخ السودان)** "، المجلة التاريخية المصرية، العدد العشرون، القاهرة، 1973.
- سليمان داود بن يوسف،" **انتشار الحضارة الإسلامية وإفريقيا السوداء** "، مجلة الأصالة ، وزارة الشؤون الدينية الجزائر تمنغرست،30اوت-8سبتمبر 1979.
- غانم بودان، "**حركة عثمان بن فوديو الإصلاحية في غرب إفريقيا**"، مجلة التراث، العدد24، ديسمبر2016م،جامعة الشيخ زيان عاشور الجلفة، الجزائر.
- ثريا محمود عبد الحسن وازهار غازي مطر، "**امارات الهوسا در دراسة في التاريخ الحضاري والثقافي**"، مجلة العلوم الانسانية، كلية التربية الأساسية، جامعة ديالى.
- بشار عبد الجبار شبيب، " **دولة مالي الإسلامية1238-1488م**"، مجلة ديالى، العدد09، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة ديالى، بغداد،2013م.

- ابان حسين السنجري، "**إمبراطورية غانا الإسلامية**"، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، العدد2، جوان،2012.
- ربيع مُحَمَّد القمر الحاج،" **الهجرات العربية إلى بلاد النوبة و السودان الشرقي وأثارها الثقافية والحضارية**"، مجلة قراءات، العدد الثاني، سبتمبر2005م.
- داود عبد القادر إيليغا، **الأنظمة التّعليمية الوافدة إلى غرب أفريقيا وآثارها على المجتمع**، ملتقى الجامعات الأفريقية، جامعة أفريقيا العالمية بالسّودان، جانفي2006م.

4– الرسائل والمذكرات الجامعية:

- الخضر عبد الرحيم أحمد، **النشاط الكنسي في السودان"أساليبه ومقاصده وطرق مواجهته"**، إشراف، الشيخ مُحَمَّد قطب إبراهيم، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، فرع العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.
- خوجلي أحمد صديق، **نظم الحكم في السودان(1860–1885)م**، إشراف، إبراهيم نجيب مُحَمَّد عوض، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى،1987.
- نور الدين شعباني، **علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وأثارها الحضارية بين القرنين(4–9)هـ،(10–15)**م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية2005–2006م.
- عبد الحميد جنيدي، **مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن10هـ/16م**، إشراف، عبد القادر زبادية و خالد صابر الشريف، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة(جامعة ابو القاسم سعد الله)، الجزائر02، مارس2010.

5– الموسوعات والقواميس:

- أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**،8أجزاء، الجزء6، القاهرة،1998.
- الموسوعة العربية، المجلد السادس، الطبعة الأولى، الجمهورية العربية السورية، سوريا، 2002.
- الموسوعة العربية الإسلامية، تعريب، تييرا دل فيوجو، الجزء السابع، الطبعة الثانية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض،1999.
- أمل عجيل، **قصة وتاريخ الحضارات العربية(19–20) – تاريخه وجغرافيته وحصارته وأدبية(ليبيا– السودان – المغرب**،1999.

6– المراجع باللغة الاجنبية:

- Deng D. Akol Ruay ,**The Politics Of Two Sudans**, **The South and the North 1821 –**

1969, Motala Grafiska AB, Motala,Sweden,1994.

- Hubert,(D),**Histoire générale de l'Afrique noire**;tome1:des origines à1800,paris.
- Sekené Mody Cissoko, **Tombouctou et L'Empire Songhay**, nouvelles éditions Africaines - Dakar,1975.
- Boubou (H) , **Histoire des Songhay** , by présence Africaine, paris , 1968 .

- Hamdy À Hassan , «**Dimensions of the Darfur crisis and its consequences**: **An Arab perspective**», African Security Review, Routledge, London,2010.
- Spencer,(Trimingham), **History of Islam in West Africa**, oxford university press, ,n.d. .
- (6) Caillié,(R), **Journal d'un voyage a Temboctou et à jenné dans l'Afrique Centrles**, tome2,éditione anthraopos, paris.
- Mahmoud A.zouber,**Ahmad BABA de tombouctou** (**1556 – 1627**), **sa vie et**, **son œuvre** paris, 1977.
- Barth,(H),**Travels and Discoveries in North and Central** , vol 3 London,1859.
- Cornevin,(R et M), **Histoire de l'Afrique des origines à la deuxième guerre mondiale**, paris,1964,p.556.
- Boubou, (H),**Histoire des Songhay** ,by présence Africaine, paris, 1968.
- Dubois Felix, **Tombouctou la Mystérieuse** , la Brnieie Elammarion, paris , 1897.

7– الدوريات والرسائل الجامعية باللغة الأجنبية:

- Marc Laverne, « **Darfour**: **un modèle pour les guerres du XXe siècle athée et entre les janjawids et les puissances émergentes de flibustiers La mondialisation?** "»,2009/3 N N°134, Distribution électronique Cairn.info pour Editions Karthala.2009.
- Sékéné,(M,C),"**La vocation Culturelle de Tombouctou à L'unité du Monde Africain**", in Revue La Culture Africaine,21juillét-1 aout 1969.
- Baraka,(Z-M), **Language in Education and policy** : **A Sudanese case study**, A thesis submitted for the degree of doctoral of philosophy in the department, University of London .October.1984.

فهرس المحتويات

المحاضرة	عنوانها	الصفحة
المحاضرة الأولى	التحديد الجغرافي والسكاني لإفريقيا جنوب الصحراء	ص 03
المحاضرة الثانية	طبيعة المجتمعات في إفريقيا جنوب الصحراء.	ص 12
المحاضر الثالثة	ممالك السودان الغربي.	ص 18
المحاضر الرابعة	النظام الاجتماعي في إمبراطورية غانا:	ص 29
المحاضرة الخامسة	إمبراطورية مالي.	ص 37
المحاضرة السادسة	ممالك السودان الأوسط.	ص 47

المحاضرة السابعة	ممالك السودان الشرقي.	ص 53
المحاضرة الثامنة	انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء:	ص 58
المحاضرة التاسعة	التعليم في مدينة تمبكتو.	ص 67
المحاضرة العاشرة	الحركات الاصلاحية الجهادية في غرب إفريقيا.	ص 79
المحاضرة الحادية عشر	حركة الشيخ عمر الفوتي* الإصلاحية والجهادية(1798–1865م).	ص 87
المحاضرة الثانية عشر	أساليب و وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء.	ص 94
المصادر والمراجع المعتمدة لإعداد المحاصرات:		105
فهرس المحتويات		117